

مجلة مجمع اللغة العربية

(دمشق) : شباط سنة ١٩٣٠ م الموافق رمضان سنة ١٣٤٨ هـ

تصحيفات غربية

في معجمات اللغة

« فقه نَس وفوقيس وفوق ومقوقس »

لم يفت علماء اللغة العربية من ابناء الشرق ان بعض الألفاظ المقيدة في المعاجم اصلها تحريف وتصحيف وقد بين ذلك ايضاً وأجاد في بيانه المستشرق المحترم الشهير الاستاذ اغناطيوس غويدي (Guidi) في رسالة ايطالية نشرها قبل اثنين واربعين سنة في مجموعة الابحاث المقدمة لل مؤتمر الدولي السابع للمستشرقين المنعقد بمدينة فينا سنة ١٨٨٦ (١) ومن المعلوم ايضاً ان بعض الكتبية لما شغفوا بغريب الالفاظ استخراجوا احياناً تلك التصحيفات من كتب اللغة واستعملوها في تأليفاتهم كأنها كلمات صحيحة . ومن هذا القبيل لفظ الفقه نَس الذي اول من قيده في المعاجم العربية صاحب القاموس وشرحها بعبارات تدل على ان الكلمة جمع تصحيفين مختلفين كما سيظهر من مقالي هذه الصغيرة ان شاء الله . جاء في تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٤ ص ٣١٠) مانصه (٢) :

« (الفقه نَس كعماس) اهمله الجماعة قال الدميري في حياة الحيوان هو (طائر

I.Guidi, Alcune osservazioni di lessicografia araba, Verhandlungen des 7. Orientalisten - Congresses in Wien 1886, semitische Sektion, Wien 1888, 83 - 88

(٢) ما بين هلالين لفظ القاموس .

عظيم بمنقاره اربعون ثقباً بصوت بكل الانغام والالخان العجيبة المطربة يأتي الى رأس جبل فيجمع من الحطب ما شاء ويقعد بنوح على نفسه اربعين يوماً ويجتمع اليه العالم يستمعون اليه ويتلذذون (يحسن صوته) ثم يصعد الى الحطب ويصفق بجناحيه فتندح منه نار ويحترق الحطب والطائر ويبقى رماداً فيتكون منه طائر مثله ذكره ابن سينا في الشفاء) فالمهدة عليه وقد ذكره في شرح قوله (والذبي حارت البرية فيه) بيت التلخيص وشرحه في المطول وحواشيه وكأنه سقط من نسخة شيخنا^(١) فنسب المصنف الى القصور وهو كما ترى ثابت في سائر النسخ وقال القزويني هو قرفيس^(٢) ثم ذكر قصته بمثل ما ذكرها الدميري^(٣) وزاد فاذا سقط المطر على ذلك الرماد نولد منه دود ثم نبت له اجنحة فيطير^(٤) طيراً فيفعل كعمل الاول من الحك والاحتراق » .

وفي مستدركات صاحب تاج العروس على مادة قوقس ما نصه (ج ٤ ص ٢٢٠

في الاسفل) :

(١) هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن موسى الفاسمي المولود بفاس سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨-١٦٩٩ م) المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ - ١٧٥٧ م) صاحب تأليف منها حاشية على القاموس ورحلة معمة جداً وصف فيها سفره من فاس الى مكة ورجوعه الى فاس سنة ١١٣٩-١١٤٠ هـ (١٧٢٧-١٧٢٨ م) . وقد سردت ترجمته وكتبه السيدة المستشرقة الايطالية (Laura Veccia Vaglieri) في مقالة عنوانها (Viaggio di un pellegrino attraverso la Libia nel secol XVIII) أدرجت في مجلة (Rivista della Tripolitania) (ج ١ سنة ١٩٢٤ ص ١٣٥-١٣٨) وزدت انا على تلك الاخبار في مقالي (A proposito del viaggio di un pellegrino attraverso la Libia) في المجلة المذكورة (ج ١ سنة ١٩٢٥ ص ٣٧٥ - ٣٨١) .

(٢) امله غلط مطبوعي بدل قرفيس كما ورد في نص آخر من تاج العروس سأذكره

عن قريب .

(٣) والصواب ان الدميري نقل قول القزويني (٤) والصحيح « فيصير » .

« وقوقيس اسم طائر نقله القزويني وقد ذكره ^(١) في قفنس » (كذا بتقديم القاف وهو غلط مطبعي) .

اما نسب وصف القفنس الوارد في القاموس الى الدميري فهو ظاهر من صاحب تاج العروس لان القفنس غير مذکور في كتاب حياة الحيوان الكبير ^(٢) وما قاله الدميري في قوقيس (او قوقيس كما جاء غلطاً في الطبقات) غير ذلك وماخوذ من القزويني حرفياً كما قال الدميري نفسه . ونص القزويني ^(٣) هذا :

« قوقش ^(٤) طائر يوجد بارض الهند قال صاحب تحفة الغرائب ^(٥) هذا الطائر عند التزادج يجمع حطباً كثيراً للمش ثم لا يزال الذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى تذاجم النار من حكمهما في ذلك الحطب ويشتمل ويحتزقان فيها فاذا وقع المطر على رمادهما

(١) أراد صاحب القاموس لا القزويني الذي لا ذكر للقفنس والقفنس في كتابه .
(٢) وعلى كل حال ولو كانت ذكر القفنس موجوداً في كلا الكتابين بكلام واحد لاستحال الفصل فيما هو الاصل منهما اذ المؤلفان معاصران فعاش الدميري من سنة ٧٤٥ الى ٨٠٨ هـ وعاش الفيروزابادي من سنة ٧٢٩ الى ٨١٧ هـ .

(٣) El - Cazwini's Kosmographie herausgegeben von F. Wüstefeld, Göttingen 1849 (ج ١ ص ٤٢٣) . وفي الطبقات المصرية من كتاب عجائب الخلوقات (وهو القسم الاول من كتاب القزويني المتوفى سنة ٦٨٢ هـ) اختلافات يسيرة جداً في الرواية لا تغير المعنى .

(٤) كذا في الطبعة الافرنجية وهو اصح من « قوقيس » الوارد في الطبقات المصرية وكتاب الدميري وتاج العروس في ثاني الموضوعين المذكورين آنفاً . ويظهر ان الدميري نفسه كان قد كتب « قوقش » بالنون لانه جملة بين القوق والقوقي في كتابه المرتب على ترتيب حروف الهجاء .

(٥) كثر ذكر هذا الكتاب في كلا قسمي كتاب القزويني ولكن بدون اسم مؤلفه الذي لا يزال مجهولاً لدينا . انظر في ذلك ما قاله G. Ferrand, Le Tuhfat al - Albab de Abu Hamid al - Andalus al - Garnati, Paris 1925

من ٢٤٠ - ٢٤١ (مستخرج من مجلة Journal Asiatique) .

يبقى^(١) الدود منه ثم بذبت لها جناح وتكبر فتصير فوق نشأ^(٢) كما كانت اصله ثم يفعل ما فعل اصله .

اما المصراع المذكور في تاج العروس فمن مرثية ابي العلاء المعري لفقيره جنني مجهول الاسم . قال في البيتين السابقين للاخير^(٣) :

بان امر الاله واختلف النا
س فداع الى ضلال وهاد
والذي حارت البرية فيه
حيوان مستحدث من جماد

واختلف الشراح اخلافاً غربياً في شرح الثاني ومنهم من زعم ان المعني به آدم عليه السلام حيث خلق من التراب (وهو رأي يوسف بن طاهر الخوي في شرح التنوير) ومنهم من زعم انه عصا موسى عليه السلام ومنهم من قال انه ناقة صالح ومنهم من اصاب وقال ان المراد المعاد الجسماني^(٤) . ثم اتخذ ابو يعقوب يوسف السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٩ هـ) البيت الثاني شاهداً لكون المسند اليه موصولاً^(٥) واتخذ بهده الخطيب القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ في تلخيص المفتاح شاهداً لتقديم المسند اليه فذهب بعض شراح التلخيص الى ان المراد في البيت الفقنس . قال بهاء الدين احمد بن تاج الدين علي السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ في عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٠ من طبعة مصر سنة ١٣٤٢ (وفي آخرها ١٣٤٥) : « وقيل معناه ان الله خلق طائراً في

(١) وفي الطبقات المصرية وكتاب الديميري وتاج العروس « تولد » او « بتولد » وهو اصح . (٢) وفي الطبقات المصرية وكتاب الديميري وتاج العروس « طيراً » . (٣) شرح التنوير على سقط الزند لابي العلاء المعري (ج ١ ص ٢١٧) من طبعتي بولاق (١٢٨٦) ومصر (١٣٠٣ - ١٣٠٤) .

(٤) هذا رأي ابي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ هـ في شرحه لسقط الزند كما قيل في بعض شروح تلخيص المفتاح . واليه ذهب ايضاً سعد الدين النفزازي وعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد العباسي المتوفى سنة ٩٦٣ هـ في كتاب معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص (ج ١ ص ٤٨) من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ وغيرهما . (٥) مفتاح العلوم للسكاكي طبعة مصر سنة ١٣١٧ هـ ص ٩٨ .

بلاد الهند اسمه ففقس بضرب به المثل في البياض وله منقار طويل وهو حسن الالوان يعيش الف سنة ثم يلهمه الله الموت فيجمع الحطب حواليه ويضرب بجناحه الحطب فتخرج نار فيشتعل فيحترق فيخلق الله من رماده بعد مدة مثله « . وقال محمد بن محمد عرفة الدسوقي المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ في حاشيته على شرح النفازاني المختصر لتلخيص المفتاح ج ١ ص ٣٩٣ من الطبعة المذكورة :

« وقال بعضهم المراد به طائر بالهند يقال له الففقس يضرب به المثل في البياض له منقار طويل فيه ثلاثمائة وستون ثقبه على عدد ايام السنة اذا صوت يخرج من كل واحدة منها صوت حسن يعيش الف سنة واذا انتهى اجله وألهمه الله ذلك دخل عشه ونفخ فيه فيحدث في العش اصوات مطربة فيحترق العش بنار تحدث حينئذ ويحترق ذلك الطائر في العش حتى يصير رماداً ثم يخلق الله من ذلك الرماد بعد ثلاثة ايام ذلك الطائر مرة اخرى ثم اذا انتهى اجله فعل مثل ما فعل اولاً وهلم جرا » (١)

اما الذي جاء في القاموس ان هذا الطائر العجيب مذکور في كتاب الشفاء لابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م) فلا سبيل لي الى تحقيقه لانه لم يطبع من الشفاء الا قسم الالبيات وقسم الطبيعيات بطهران سنة ١٣٠٣-١٣٠٥ وما وجدت فيهما ذكر هذه الامور كما لم اجده في الترجمة اللاتينية لفرنس الحيوان من طبيعيات الشفاء وهي ترجمة عملها في اباطاليا ميخائيل الاسكوتي (Michael Scotus) بامرالانبراطور فرديريك الثاني الذي تولى الملك من سنة ١١٩٦ الى ١٢٥٠ م .

ومن الجدير بالذكر ان عجائب شبيهة بهذه نسبها القزويني في كتاب عجائب المخلوقات الى العنقاء ايضاً فقال (ج ١ ص ٤٣٠ من طبعة غونينج) :

« وذكروا ان عمر العنقاء الف وسبعائة سنة وبتزواج اذا اتى طليسه خمسمائة سنة فاذا حان وقت بيضها وجدت لذلك الما شديداً فيأتي الذكر بماء البحر في منقاره ويحفظها به فيخرج البيض بسهولة فيحضن الذكر البيض والانثى قمشي نصيد و يفرخ البيض بمائة

(١) انظر ايضاً مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ج ١ ص ٣٩٢) من الطبعة المذكورة وهو كتاب للافه ابن يعقوب المغربي بمكناحة سنة ١١٠٨ هـ .

وخمس وعشرين سنة فاذا كبر الفرخ فان كان انثى فالعنقاء الانثى تجمع حطباً كثيراً والذكر يحك منقاره على منقار الانثى حتى يتوقد منه النار و يضرم في ذلك الحطب والانثى تدخل تحت النار حتى تحترق والفرخ يبقى زوج الذكر وان كان الفرخ ذكراً فالعنقاء الذكر بفعل مثل ما فعل الانثى و يبقى الفرخ زوج الانثى » .

اما الدميري مع كثرة نقله عن القزويني ومع اطالة الكلام في العنقاء فلا يذكر ذلك وعلى كل حال كانت هذه الروايات منتشرة في الشرق العربي في القرن الرابع للهجرة (العاشرة للميلاد) لان ابا الحسن برّ بهلول النسطوري قال في معجمه السرياني العربي^(١) المؤلف قبيل سنة ١٠٠٠ م :

« (فونيكس) عنقاء مغرب تحرق نفسها وتصير دودة ثم بتولد منها حيوان مثل الاول . (فونكوس) او (فونكس) ٠٠٠ طير يسمى فنخس (فونيكس) قيل يعملون من ريشه مندبل واذا انسخت بلقونها في النار فننظف وننقى وهي تصلح للملوك^(٢) . . . (فونيكس) الوحيد

(١) Lexicon syriacum auctore Hassano Bar Bahlule , ed , R.

1888 - 1896 Duval, Pazisiis عمود ١٥١٤ - ١٥١٥ . وعريبته كثيرة اللحن كما يظهر مما أنقله بدون تغيير لان اللحن صادر عن المؤلف لا عن نساخه . والكلمات الموضوعية بين هلالين سريانية مكتوبة بالحروف السريانية في الاصل .

(٢) الظاهر من هذا الوصف ان فونيكس بهذا المعنى لفظ مرادف للفظ الآخر السرياني سَلَمَة نَدْرَا وهي ما يسمى في كتب العرب السَلَمَة نَدْرَا او السَلَمَة يَدْرَا او السَمْنَد او السَلَمَة نَدَل او السَلَمَة نَدَل نقول العرب انه طائر ببلاد الهند لا يحترق بالنار واذا انقطع نسله وهرم ألقى نفسه في الجمر فيعود الى شبابه وزعموا ايضاً ان المنسوجات غير المؤثرة بالنار المحلوبة من أقاصي البلاد الاسيوية كانت من وبره او ريشه . والحقيقة ان كل هذه الألفاظ محرفة عن كلمة (salamandra) اليونانية (وهي ايضاً لاتينية وايطالية وبالفرنسي salamandre) وهو نوع من الحرذون موجود باوربا كان القدماء يقولون انه لبرودة طبيعته يستطيع ان يجناز بالنار بدون احتراق . اما السريان والعرب فعند اخذهم ذكر (salamandra) من كتب اليونان ظنوا ان هذا الحيوان طائر بالهـ

الذي لا يشبه احد . وايضاً (فونيكس) العنقاء وهي طير يحرق نفسه وهو كل خمسمائة سنة اذا أراد ان يتجدد يحمل على جناحيه خشب الدارصيني ويجعله في مكان ويحرق نفسه عليه فيظهر منه نار تحرقه فيبقى رماداً فيصير من ذلك الرماد دودة وتتشو وتصير فروج ويصير لها جناحات وبعد سبعة ايام تصير عنقاء كما كانت اولاً وتسمى ايضاً فنفس .

أخذت الفرس ايضاً عن العرب بعد الاسلام هذه الحكايات العجيبة وقالوا بالفارسي (قَفْ نُس) او (قَفْ نُوس) « بقافين اولاهما مفتوحة وثانيتها ساكنة وبعدها نون مضمومة كما ضبط في المعجم الفارسي الشهير الموسوم ببرهان قاطع » او (قَوْ قُ نُس) « بقافين ايضاً ثانيتها بالضم كالنون الثانية » او (قَوْ قُ نوس) . وأطال الكلام في قفنس « بسكون القاف الثانية كما يتضح من الوزن » الشاعر الشهير فربد الدين عطار^(١) في منظومته الفارسية المزدوجة المشهورة في التصوف المسماة منطلق الطير^(٢) وقال ما هذا ملخصه :
يوجد في بلاد هندوستان القَفْ نُس^(٣) وهو طائر عجيب للغاية جميل جداً له منقار

(ومنهم من قال انه نوع من الفأر) ولما عرفوا المنسوجات المذكورة المعمولة من المعدن المشهور باسم حجر الغنيلة (amiante) ذهبوا الى ان مادتها ريش ذلك الطائر الموهوم والسياح الابطاليون الذين كشفوا البلاد الاسيوية في القرن الثالث عشر والرابع عشر واوائل الخامس عشر ليلاد سمعوا من ابناء الشرق هذه العجائب عن طائر (smenda) .
(١) عاش في نيسابور واختلفوا في تاريخ وفاته والمرجح انه توفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩-١٢٣٠ م) .

(٢) Mantic uttaïr, ou le Langage des oiseaux' poème de phi^{١٥} sophie religieuse de Farid uddin Attar, publié en persan par M. Garcin de Tassy, Paris 1857 في الباب السادس والعشرين والابيات ٢٢٩٥-
٢٣٢٨ (وفي ص ١٢٦-١٢٧ من الترجمة الفرنسية المطبوعة بباريس سنة ١٨٦٣ م .
(٣) قفنس بالفارسي وقفنوس في الترجمة الهندوستانية لمنطق الطير .

طويل فيه نحو مائة ثقبه لكل منها صوت وفي كل صوت مرث خاص . فاذا صوت بانغامه تحركت الطيور والسماك وسكنت الوحوش طرباً . ولازم فيلسوف هذا الطير وتعلم من صوته علم الموسيقى . وليس للقنص أنثى فيعيش منفرداً ويطول عمره الف سنة تقريبا وهو يعرف وقت موته وعند قربه يجمع حوالي نفسه اوراق مُقل و بصوت بالانغام الحزينة المطربة فيموت حينئذ حزناً كثير من الحيوانات . وفي أوفاته الاخيرة يحرك أجنحه ورشه فتسبب هذه الحركة ناراً تحرق الخشب والطائر . بصيرهما رماداً الا انه عند انطفاء النار يقوم من الرماد قنص صغير .

واستدل فريد الدين عطار بهذه الحكاية على استحالة الفرار من الموت مهما كانت الحيل التي دبرها الانسان .

وحكاية فريد الدين عطار ادرجها مير علي شير نوائي في منظومته بلغة چغتاي (اي التركية الشرقية) المسماة لسان الطير واسم الطائر فيها ققنوس^(١) .

بتضح عند التأمل في هذه النصوص العربية والفارسية اب القنص والقنص والقوقنس والقوقيس وما اشبه ذلك في الحقيقة شيء واحد وان اقوال العرب والفرس فيه ناشئة عن جمع شيئين مختلفين :

(١) الطائر المائي الكثير الوجود ببلاد اوربا المسمى (kyknos) باليونانية و (cygnus) او (cygnus) او (olor) باللاتينية و (cygne) بالفرنسية غير معروف بالبلاد الشرقية وهو من جنس الأوز الا انه أشد منه باضاً جميل الصورة ذو عنق طويل جداً ظريف للغاية كان يضرّب به المثل في صفاء البياض عند اليونان والرومان

(١) عاش مير علي شير نوائي في هراة في النصف الثاني من القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد . اما النص المشار اليه هنا فانظر المجموعة الروسية المسماة (Mir Ali Chir) المطبوعة بتنينكراد سنة ١٩٢٨ م ص ٢٣ - ٢٤) .

ولم يزل يضرب عند الافرنج . وكان القدماء يزعمون^(١) انه عند الاحساس باقتراب الموت بصوت بالنغمات العجيبة الحسن المطربة فاستعملوا كلمة (cygnus) مجازاً بمعنى الشاعر الفائق وهو مجاز رائع ايضاً عند الافرنج الى القرن الماضي دلالةً اما على شاعر شهير واما على مؤلف موسيقي ماهر . وكذلك من العبارات السائرة في ايطاليا وفرنسا «اغنية القنسن» (le chant du cygne) والمراد بها آخر ما قال شاعر من المنظومات الرائقة او الخطيب من الخطب البليغة كأنه حسن الختام .

وهذا الطير هو المقصود في كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق^(٢) للقاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (بالسين) ص ١١ من طبعة مصر سنة ١٣١٦ هـ (وفي آخرها ١٣١٧) ١٨٩٨م حيث قال المؤلف ايضاً لتعريف العرضي اللازم: «واما اللازم بسبب امر خارجي فمثل الاسود المزنجي والذكر والانثى للحيوان والابيض للطائر المسمي قنساً^(٣)» . ولا شك ان هذا المثال مأخوذ من كتب منطقية يونانية ويحتمل

(١) وان شك بعضهم (منهم Plinius الروماني) في صحة ذلك . اما ارسطو طاليس فانصر في كتاب الحيوان (في الباب الثاني عشر من الكتاب التاسع) على قول ان (kyknos) «من عادته ان يغرّد لا سيما اذا اقترب من الموت» .

(٢) هو كتاب كاد مجهول تماماً قبل ان اكتشفه في مكتبة بيرونية المرحوم الاستاذ محمد عبده وطبعه وعلق عليه وقرأه في الازهر . وبقروءه الآن بالجامعة المصرية صديقي وزميلي المحترم الشيخ مصطفى عبد الرازق .

(٣) قال الشيخ محمد عبده في تعليقه : « وجد مضبوطاً في النسخة التي بيدي بضم القاف الاولى وسكون القاف الثانية وضم النون التي قبل السين ولم اجد لهذا اللفظ ذكراً في معجمات اللغة التي امكن الاطلاع عليها لا في مطولاتها ولا في مختصراتها ولا فيما استدركه بعض الباحثين في العربية من الغربيين ولم اجد ايضاً في كتب الحيوان العربية » . ثم قال ان احد المطلعين على اللغة اليونانية واللاتينية اخبره بوجود كلمة (kyknos) الخ . وفات الشيخ كلمة القنسن وما يشبهها في الكتب العربية واخطأ (وهو معذور) في ظنه ان القنسن هو البلشون او مالك الحزين اذ هذا هو (héron) بالفرنسية و (airone) بالاطالية

ان السادي وجده في القسم المنطقي من كتاب الشفاء لابن سينا الذي لقبه في تلك الصفحة نفسها « افضل المتأخرين زمانا »^(١).

(٢) الطائر الخيالي الشهير المسمى (phoiniks) باليونانية و (phoenix) باللاتينية و (phénix) بالفرنسية و (fenice) بالابطالية الذي كثر فيه الحكايات العجيبة عند اليونان والرومان وان قال بعضهم (ومنهم plinius) بعدم صحتها^(٣) فقالوا مثلاً انه موجود ببلاد العرب وانه وحيد في جنسه وان عمره خمسمائة سنة او ١٤٦١ او اكثر وانه يحرق نفسه بحطب عطر يجمعه لذلك ويقوم بعد الاحتراق التام من رماده شاباً مجدداً حتى جملة بعض النصارى القدماء من البراهين الدالة على امكان القيامة وصحتها واتخذوه في الرسوم رمزاً للنشور . والذين نقلوا الكتب اليونانية الى العربية بلا واسطة الترجمات السريانية^(٤) عربوا (phoiniks) (فونقس) او (فنقس) على أسلوبهم المعتاد في تعريب الحروف اليونانية ثم التبس قراءة الكلمات بالحروف العربية واتي النساخ بكل نوع من التحريف فكانت نتيجة الالتباس والتخريف ان كتبه العرب والفرس المسلمين أصبحوا غير مميزين بين (phoinix) (فونقس او فنقس) و (kyknos) (قونقس او قنقس) ونسبوا الى طائر واحد بعد تحريف اسمه كل الخرافات المتداولة

و (Ardea cinerea L.) في اصطلاح علماء الحيوانات . ولم يصب في قوله في آخر التعليق : « وعلى هذا (اي الاشتقاق اليوناني) يكون الصواب في ضبطه كسر القاف الاولى » لان نطق حرف (y) كان باليونانية اقرب الى (u) منه الى (i) فنقله السريان بالواو دائماً وكتبوا فونقوسا بمعنى (kyknos) .

(١) ولعل صاحب القاموس اراد المنطق من كتاب الشفاء في قوله المنقول في اول

مقالتي هذه .

(٢) ولم يذكر ارسطوطاليس هذا الطير بته في كتابه في الحيوان .

(٣) اقول هنا لان السريان نقلوا (phoinix) بصيغة فونيكس او فونكس او فونكوس فلواخذت العرب هذا اللفظ منهم لكتبوا فونقوس او فنقس لان الكاف بعد الحركة تنطق خاء تقريباً بالسريانية . انظر نص برهلول السطوري المذكور آنفاً .

عند القدماء في شأن طائر ين مختلفين أحدهما حقيقي الوجود والآخر خيالي تماماً .
وعلى كل حال فإن الفقة نس المذكور في القاموس تحريف محض يجب إسقاطه من
كتب اللغة وانت نقل به حبيب افندي بسترس لفظ (phoiniks) لما عرّب ترجمة
(Larcher) الفرنسية لتاريخ هيرودوتس^(١) وأخطئه الكتاب العربي الوحيد الذي
استعمل كلمة فقة نس .

والذي يجب ادراجه في القواميس العربية بدل الفقة نس اثنان : (١) فُوقُ نُس او
فُة نُس وهو (kyknos) اليونان . (٢) فُونِة نُس او فُونِة نُس وهو (phoiniks) القدماء .
ومما اراه ايضاً تصحيف فقة نس او فقة نس (kyknos) ككثان لم يذكرهما الجوهري
المتوفى فيما بين سنة ٣٩٣ و ٣٩٨ وانما فيدهما المتأخرون من علماء اللغة او الخبيريون بعلم الحيوان .
الادلى منهما فوق . قال ابن منظور الافريقي المتوفى سنة ٧١١ هـ (١٣١١ م) في
لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٠ : « والقوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل نحض الجسم
وانشد * كأنك من بنات الماء فوق * » . وقال هذا ايضاً السيد محمد مرتضى الحسيني
الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) في تاج العروس ج ٧ ص ٥٨ يزادة « عن
الليث^(٢) قبل « وانشد » . وفي حياة الحيوان الكبرى للدميري (ج ٢ ص ٢٢١) من
طبعة مصر سنة ١٣١١ : « القوق بالضم طائر مائي طويل العنق قاله في العباب^(٣) » .

(١) في الفصل الثالث والسبعين من القسم الثالث من تاريخ هيرودوتس الشهير ترجم
من الفرنسية بقلم . . . حبيب افندي بسترس . بيروت سنة ١٨٨٦ - ١٨٨٧ م .
(٢) يعني الليث بن نصر بن سيار الخراساني اللغوي المعاصر للخليل الفراهيدي عاش
في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة . ولا أعرف هل اصاب صاحب تاج العروس
بزادته هذه .

(٣) يعني العُباب الزاخر واللباب الفاخر لرضي الدين الحسن بن محمد الصفاني
(او الصاغاني) المتوفى سنة ٦٥٠ هـ (١٢٥٢ - ١٢٥٣ م) . ولشغفه بالزيادات على
كتب اللغة أصبح مسؤولاً عن أغلاط اتخذها المتأخرون ولبس لها اصل سوي التعريف
او التصحيف كما دل عليه الاستاذ غويدي في المقالة المذكورة آنفاً .

اما القزويني فلم يذكره في كتاب عجائب الخلوقات .
 ات وصف هذا الطائر بناسب الققنوس تمام المناسبة . واقتصار المؤلفين ولا سيما
 الدميري على هذا الوصف بغير ادنى اشارة الى بلاده وعاداته ومنفعته - يدل
 على انه كان مجهولاً لاهل الشرق عديم الوجود في بلادهم كالمقوقنس (kyknos) .
 فالارجح ان المراد بالقرق هذا الطائر .
 اما الكلمة الاخرى التي اظننها ايضاً تحريفاً أدخل غلطاً في بعض معاجم اللغة
 فالمقوقنس حيث يزعم انه اسم طائر . ولا ذكر لهذا المعنى في الصحاح ولا في لسان العرب
 ولكن اتى به صاحب القاموس وشارحه .
 قال صاحب تاج العروس (ج ٤ ص ٢٢٠) : « (طائر مطوق سواده بي
 بياض كالحمام) عن ابي عمرو » . وهذا الطائر لم يذكره القزويني واما الدميري فمع كثرة
 كلامه في قصة المقوقنس المصري الشهير اقتصر على ما وجدته في القاموس فيما يخص الطائر
 قائلاً (ج ٢ ص ٢٧١) : « المقوقنس طائر معروف مطوق سواده في البياض كالحمام » .
 فالغالب على ظني انه من تحريفات قوقنس (kyknos) ايضاً .

أختم هذه الملاحظات اللغوية بذكر ورود كلمة (قوقنوس) في كتب طبية عربية
 تسمية لانواع خاصة من الشياطات (اي من الادوية للعين) وان اهملت كتب اللغة
 هذا اللفظ والمعنى تماماً . سمي أطباء اليونان أنواعاً من الشياطات (kyknos) تشبيهاً
 لبياضها بياض الطائر فاتخذ كحال العرب هذا الاسم اليوناني وكتبوه قوقنوس وهو
 مذکور غير مرة في كتاب العشر المقالات في العين المنسوب الى حنين بن اسحاق المتوفى
 سنة ٢٦٤ هـ (٨٠٩ م) وهو الكتاب الذي اعنى بنشره وترجمته الى الانكليزية
 وشرحه الدكتور (Max Meyerhof) بمصر سنة ١٩٢٨ م . انظر ص ١٨٧ و ٢٠٨ -
 ٢١٠ من الاصل او (119 و 142 - 140) من الترجمة .

رومية : كارلونالينو

عضو المجمع العلمي العربي

جامع التواريخ

المسمى بكتاب نشوار المحاصرة وأخبار المذاكرة

- ٢ -

حدثني ابو الحسين قال حدثني ابي وابو منصور عبد الله بن جبير النضرائي
 قالا حضرنا مجلس ابن الفرات وقد عملت موءامرة لابن حبش العماني
 وكان يتقلد الذاب ونهر سابس (١) في ايام وزارة عبيد الله بن سليمان فأخذ
 ابو العباس وابو الحسن يناظرانه عليها الى ان الزم خمسة وعشرين الف درهم
 من ابواب صحيحة وطولب بادامها واخذ خطه يصححها (٢) فصصح خمسمائة
 واربين طول المدة والبط (٣) بالمال . فقيد فلم ينفع وضرب سبع مقارع فلم
 يورد . وكان اذ ذاك اذا خرج بانسان من العمال الى هذا القدر ونحوه من
 المكروه فعندهم انه النهاية . فاخرجه ابو العباس الى حضرته وطالبه بالمال
 فاقام على انه لا شيء معه وان ضيعته وقف . فقال له ويلك لا اعرف اجهل
 منك اذ كان هذا صبرك على المكروه واسلامك لنفسك وبذلك لها فلم لم
 تأخذ اصل الارتفاع فانا ما كنا نعمل بك اكثر من هذا . ولكن انشئت
 فانا ادع عليك هذا المال واصرفك الى منزلك . ولكن بعد ان كشف
 للوزير صبرك على المكروه فلا تتصرف والله في ايامه ابدأ وبذهب خبرك .
 قال فقلق من ذلك . وسأل ان يخفف عنه شيء من المال ليوهدي الباقى .

١٠٠٠ م . ع : بضم الباء قرية بواسطة اضيف نهرها اليها . ٢٠٠ م . ع : لعله :

تصححها . ٣٠٠ م . ع : اي جرده .

فما ربحنا حتى تقرر امره على بعض المال واداه وانصرف .

حدثني (١) ابو الحسين قال سمعت ابا الحسن بن القرات يقول ناظرت
الجهظ احد العمال على مؤامرة قد عملناها له وكنت انا واخي جعلنا نأخذ
خطه يباب باب فلما كثر ذلك قال لي سرا ليس الشأن في الخط . الشأن في
الاداء . ستمهلون انكم لا تحصلون على شي فسمعه عبيد الله لانا كنا في مجلسه
فقال له اعد علي ما قلت فاضرب فقال لا بد ان تميده فاعاد ذلك فقال اذا
لا تلي لي والله بعدها عملا ابدا قم عافاك الله الى منزلك . خرقت يا غلام المؤامرة
قال فخرقت في الحال وانصرف الجهظ الى منزله فما صرفه عبيد الله بعد ذلك
وشاع خبره فتحامى الناس كلهم استخدامه فهلك جوعاً في منزله حتى بلغ انه
احتاج الى الصدقة .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله زنجي الكاتب قال حدثنا
ابو العباس بن القرات قال كتب صاحب الخبر بمدينة السلام الى اسماعيل
ابن بلبل في وزارته الاولى للمعتمد بان مغنية من جواردي بدعة الكبرى
غنت عند الحسن بن مخلد وهو اذ ذلك معطل بهذا الصوت فاستعاده
وطرب عليه :

عادات طيء في بني اسد ري القنا وخضاب حل حسام
لهني على قتلى النجاج (٢) فانهم كانوا الذرى ورواسي الاعلام

« ١ » كتاب الوزراء ص ٧٧ . « ٢ » م . ع « النجاج ككتاب قرية على عشرة
اميال من البصرة وبها يوم لتميم على بكر .

كانوا على الأعداء سيف محرق ولجارهم حرماً من الاحرام
لا تهلكي جذعاً فاني واثق برماحنا وعواقب الايام
فانهى اسماعيل ذلك الى المعتمد وقال هذا يسمى عليك ويتمنى لك
الدوائر ويتربص بك فامر بنفيه الى مصر فكان مضيه اليها تلقه .
حدثنا ابو الحسين قال سمعت ابا القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قبل
الوزارة يتحدث قال حدثني ابو عبدالله حمد بن محمد القنائي (١) الكاتب قال
ابو الحسين وكان ابن اخت الحسن بن مخلد وكان قد خلفه دفمات على ديوان
الحراج ومرة على ديوان الضياع ثم ولي اعمالاً جليلاً من العمالات والديوانين
منها ديوان المغرب ومات وهو يتقلد ديوان الحراج والضياع العامة بالسواد
وما يجري فيه وقد رأته وتعلمت بين يديه وسمته يتحدث باشياء ولم اسمع
هذا منه قال سليمان قال لي حمد سألت الخادم الذي تبع خالي الحسن بن مخلد
الى ابن طولون لما نفي اليه - عن السبب الذي دعا ابن طولون الى قتله فقال
لما ورد عليه تناهى في اكرامه وبره واعظامه ثم انس به حتى ناداه وصار
يشاوره في مهم اموره فشاوره مرات في خلع طاعة المعتمد فمظم عليه امر
السلطان وخوفه من العصيان فقبل رأيه ثم طواب ابن طولون بمال الوظيفة
التي كانت عليه فقال لابن مخلد ما رأيت اعجب من جهل هذا المخذول يعني
الموفق يطالبني بالوظيفة وهو عاص على الخليفة. الى من احمل؟ فقال له لا تفعل

١ «م.ع»: كذا في الاصل ولعله القنائي فقد قال ياقوت: دير قنا من اعمال
النهروان نسب اليه جماعة من الكتاب والنسبة اليه قنائي وسيأتي في صفحة ٥٢ انه القنائي

فان الامور اليه والجيش معه وان منعه المال قصدك و حاربك فقام في نفس ابن طولون انه دسيس (١) للقوم عليه وقال لو كان هذا عدواً للقوم ما اشار علي بهذه المشورة وانما هو دسيس علي ملكي ليأخذ البلدان مني لهم ويرهبني ويستخرج البلدان مني باللطف . فشكر له ثم امر بالقبض عليه وحبسه فكان جباناً فلم يحب مع إباحته ان يفلت في وقت من الاوقات ففسد اليه في شربة فقتله بها . وجد الموفق (٢) وانفذ اليه المعتضد في الجيش واخرج احمد بن طولون خمارويه اجاه (٣) لمحاربة المعتضد فتحاربوا فانهزم كل واحد منهما من صاحبه وهو لا يعلم ان صاحبه قد انهزم فضرب الناس بهما المثل وقالوا صبي لقي صيباً وهكذا تكون محاربة الصبيان قال فلما جرت هذه الحال تندم احمد ابن طولون علي قتل الحسن بن مخلد وقال صدقتي فلم اقبل منه واتهمته .

حدثني (٤) ابو الحسين قال حدثنا ابو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد قال قال لي ناقد خادم ابي وثقتة وكان يتولى نفقة ابي : ما رأيت اجسر من مولاي علي اخذ مال السلطان ومن ذلك اني باكرته يوماً وقد لبس سواده ليضي الى دار المعتمد وهو اذ ذلك يتولى دواوين الازمة والتوقيع وبيت المال فقلت له قد ضككت (٥) علي البارحة للمعاملين بالف وستائة دينار وما عندي من ذلك حبة واحدة فقال لي يا بغيض تخاطبني في هذه الساعة

« ١ » « م.ع » : دسيس فعل بمعنى مفعول هو من تدسه لياتيك بالاخار . « ٢ » م.ع : كذا في الاصل . « ٣ » الصواب : ابنه . « ٤ » كتاب الوزراء ص ٧٧ . « ٥ » م.ع : صك الرجل للمشتري صكاً كتبه . وهو الذي يكتب في المعاملات والاقارير .

اين كنت عن خطابي البارحة لا وجه لها وجهها ولكن اتبعني الى دار السلطان
 فبعته ودخل الى المعتمد مع عبيد الله بن يحيى الوزير ودخل معهما احمد بن
 صالح بن شيرزاد صاحب ديوان الخراج فلما خرج قال لي امض الى صاحب
 بيت المال فخذ منه ما يسلمه اليك فظننته قد استسلف على رزقه شيئاً فمضيت
 الى صاحب بيت المال فسلم الي ثلاثين الف دينار فاستمظمت ذلك وعلمت
 انه ليس من الرزق وحملتها الى الدار وعرفته خبرها فقال لي أنفق منها
 ما رقت به اليك واحفظ الباقي فليس في كل وقت يتفق لنا مثل هذا ومضى
 للحديث ايام ودعا دعوة فيها صاعد بن مخلد واليه اذناك عدة دواوين وجماعة
 من الكتاب واكلوا وناموا وانتبهوا فاذا كاتب من كتاب احمد بن صالح
 ابن شيرزاد يستأذن فاستأذنت لدخوله على مولاي وكانوا قد بدأوا بالشرب
 فترك مولاي المجلس وخرج الى بيت خلو واستدعى الرجل فادخله اليه فسمعته
 يقول اخوك ابو بكر يقرأ عليك السلام يعني احمد بن صالح ويقول لك انت
 تعرف رسمي مع صاحب بيت المال وان محاسبته في سائر الاموال الي وانا
 اذا تمت ثلاثون يوماً وجهت صاحبي الى حساب بيت المال (١) فجملة مع
 صاحب بيت المال لينظم دستور الختمة بحضرتي واصصح حكاياتها ونحن منذ
 عشرة ايام في هذا حتى انتظمت الحسبة ولم يبق الا ثلاثون الف دينار ذكر
 صاحب بيت المال انك خرجت اليه من حضرة امير المؤمنين فامرته بحملها
 الى خادمك ناقد ولست ادري في اي جهة صرفت ولا في اي باب ثبتها

(١) عند هلال وجهت حاجي الى الخازن .

ولا ما ألحجة فيها قال فاجابه مولاي بلا توقف وقال يا أخي ابو بكر والله
 وقع اسأل انا الخليفة في اي شيء صرف ما امر ان يحمل الى حضرته يجب
 أن يكتب في الحتمة وما حمل الى حضرة امير المؤمنين في يوم كذا وكذا
 ثلاثون الف دينار قال فقام الكاتب خجلا ومر ذلك في الحساب على هذا فما
 تنبه احد عليه وحصل له المال قال ابو الحسين فقال لي سليمان بمقب هذه
 الحكاية ما رأيت لهذه الفعلة شيئا الا ما عمله ابي الفرات في وزارته الاولى
 فانه نصب يوسف بن فنحاس (١) وهارون بن عمران الجهبذين فلم يدع مالا
 لابن المعتز ولا للعباس ابن الحسن ومن نكب وقتل في الفتنة وما صح من
 مال المصادرين وغيرهم ممن يجري مجراهم الا اجراه على أيديهما دون يد
 صاحبي بيت المال العامة والخاصة (٢) وأفرد لذلك ابن فرجويه كاتبه يحاسبهما
 ولا يرفع لهما حساب الى ديوان من الدواوين فلما كان في السنة التي قبض
 عليه فيها كتب كتابا عن نفسه الى مؤنس الخادم صاحب بيت المال ذكر فيه
 انه حوسب يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران على ما حصل عندهما من
 كيت وكيت حتى استفرق تلك الوجوه فكان الباقي قبلهما بعد الذي حمل
 الى حضرة امير المؤمنين أطال الله بقاءه وصرف في مهمات أمر بها هو
 والسادة أيدهم الله من الورق الف الف وأربع مائة وسبعين الف درهم

١٥٠ م.ع : في تاريخ الوزراء فيجاس . ٢٠ م.ع : كذا في الاصل وذكر بعضهم

ان المال يوءنث ولكن في تاريخ الوزراء بيت مال الخاصة والعامة .

وخمسة وستة واربعون (١) درهما وامر بقبض ذلك منهما و اراده بيت مال العامة (٢) فقبض مؤنس منهما تلك البقية ونمضى الاصل كله لا يعرف في اي شيء صرف وكان مبلغه فيما ظنه الكتاب وكانوا يتعاودونه (٣) نحو الف الف دينار فان ابن القرات فاز بجمعها (٤) ولم يقيم بها حجة عليه قال ابو الحسين فحدثني ابي بعد ذلك قال لما قلدني علي بن عيسى في وزارته الاولى ديوان الدار الجامع للدواوين امرني باحضار هذين الجهبذين ومطالبتهما بمحتماتهما لما كان حصل في ايديهما في وزارة ابن القرات الاولى من الجهات التي تقدم ذكرها فاستدعيتهما وطالبتهما فاحالا (٥) ان ابن القرات أخذ حسابهما ولم يدع عندهما نسخة منه فامر بحبسهما وتهديدهما ففعلت ذلك فاحضرتني حسابا مبتورا ذكرا انهما وجداه فرأيته غير منتظم فلم أزل أرفق بهما الى ان أقرا انه قد وصل اليهما من فضل الصرف فيما بين ما ورد عليهما وبين ما أنفقاها مائة الف درهم فجعلتها عشرة آلاف دينار وقررت أمرهما عليها وأخذت بهما خطوطهما فلم يقنع علي بن عيسى بذلك وأخذها من يدي وسلمها الى حمد بن محمد وكان اليه ديوان المغرب وأمر ان يتبع أمرهما بنفسه وكان حسن الكتابة ولم يعرفه اني أخذت خطهما بشيء فنتبع حمد ذلك فلم يجد في الحساب الا احالات على حمد الى الخليفة والسادة وأشياء صرفت الى خاص ابن القرات

«١» م.ع : الصواب واربعين ليتسق الكلام . «٢» م.ع : في تاريخ الوزراء : بيت مال الخاصة . «٣» م.ع : كذا في الاصل ولعله يتعاودونه اي يتداولونه بالمد او التخمين «٤» م.ع : لعله بجمعها . «٥» م.ع : في تاريخ الوزراء فاحالا على ان .

فقال له حمد هذا كله مسروق والقوم معهم حجج بالبراء وما عليهم طريق
وابن الفرات كان أجلد من ان يدع هؤلاء يفوزون بمية من المال فردهما
الي وقال اجتهد في ان تأخذ منهما مائتي الف درهم فقلت لا يمكن ذلك فقال
اعمل على انك طالبتهم (١) بمرفق لنفسك بتمام مائتي الف درهم فقلت له فاذا
فعلت هذا فاي شيء أععمل أنا لنفسي قال خذ منها عشرين الف درهم والزمها
مائة ومائين قال فخرجت وجددت بهما الي ان ألزمتها ذلك وأخذت لنفسي
منه ما قال فلما فرغنا من ذلك أخذناهما خطوطهما وأخذنا لهما خطه بالبراءة
من ذلك فقال لي علي بن عيسى سأريك موضعي انا من العمل وان للرئيس
في كل أمر موضعاً (٢) لا يقوم فيه احد مقامه فاستحضرتهما الي حضرته وانا
في مجلسه فقال لهما تريدان مني ان أزيل عنكما تبعه ان لم ازها بقيت عليكما
وعلى ورثكما ابد الدهر لست افعل هذا الا بشي يقرب لا ضرر عليكما
فيه وهو اني احتاج في كل هلال الي مال أدفعه في ستة ايام من ذلك الشهر
الي الرجالة ومبلغه ثلاثون الف دينار وربما لم يتجه في اول يوم من الشهر ولا
الثاني وأريد ان تساقاني في اول كل شهر مائة وخمسين الف درهم ترتجماها
من مال الاهواز في مدة الشهر فان جهنزة الاهواز اليكما فيكون هذا المال
سلفاً لكما (٣) أبداً واقفاً لاضيف الي هذا المال الوظيفة التي علي حامد التي (٤)

١٥ م ع : كذا في الاصل والصواب طالبتهما م ٢٥ بالاصل : الرئيس في كل
موضع . والصواب عند هلاك : ٢٣ م ع في تاريخ الوزراء سلفاً واقفاً لكما الخ .
٤٤ بالاصل : الي ان : والصواب عند هلال .

يرد في أول كل شهر وهي عشرون الف دينار فيكون ذلك بازاء مال القسط
 الأول من النوبة فيخف عني ثقل ثقل فتأبيا ساعة فلم يفارقهما حتى استجابا
 لذلك فقال لي علي بن عيسى كيف رأيت فقلت ومن يني بهذا الا الوزير
 أيده الله تعالى قال وكان علي بن عيسى اذا حل المال وليس له وجه استسلفه
 من التجار على سفاتج قد وردت من الاطراف فلم تحل (١) عشرة آلاف
 دينار بربح دائق ونصف فضة في كل دينار وكان يلزمه في كل شهر الفسان
 وخمسمائة درهم أرباحاً فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنجاس وهارون
 ابن عمران ومن قام مقامهما مدة ست عشرة سنة وبعد وفاتهما لأنهما ما صرفا
 الى ان ماتا فكانا قد تقلدا في أيام عبيد الله بن يحيى بن خاقان وكان السلطان
 لا يرى ضررهما ليقى جاء الجهبذة مع التجار فيقرض التجار بالجهد اذا دفعت
 الضرورة ومتى صرف الجهد وقلد غيره (٢) لم يعامله التجار وقف امر الخليفة .

حدثنا ابو الحسين قال حدثني ابو بكر محمد بن جني الكاتب وكان ابوه
 مغنياً وهو من أغنياء الكتاب قال حدثني ابن ثوابة الكاتب قال حدثني
 أبو الفرج بن نجاح بن سلمة عن أبيه عن الفضل بن مروان قال كنت
 أتولى مجلس الحساب من قبل صاحب ديوان الرشيد وكان يجيئنا الى الديوان
 شيخ من بقايا كتاب بني امية وكان صاحب الديوان يقول لنا هذا اكتب
 اهل زمانه وكان يلبس دراعة وقلنسوة كسا كاسية (٣) النضاري وخفأ أحمز

«١» م . ع كذا في الاصل ومثله في تاريخ الوزراء . «٢» م . ع اهل الاصل ولم
 امله او . ووقف امر الخليفة . «٣» م . ع : كذا في الاصل . والله كاكسة .

وكان هذا زي المتعطلين من الكتاب إذ ذاك وكان صاحب الديوان يكرمه جداً فصار إلي في يوم من الايام لحاجة عرضت له وأنا متشاغل بممل مهم قد طلبه الرشيد وانا جالس حيال صاحب الديوان اعمله فقصرت في حق الشيخ ولامني صاحب الديوان علي تقصيري به ووبخني فاعتذرت اليه بشغل القلب فلما كان بعد ايام جاءني فزدت في اكرامه ووقت اليه وجلست بين يديه فاقبل علي صاحب الديوان فقال احسبك طابت فتانا علي تقصيره أولاً ثم أقبل علي وقال يا فتى كئنا نعد الصناعة نسباً والنعمة نسباً واللغة نسباً والنحلة نسباً.

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو عبدالله الباقطائي قال حدثني ابو الفضل عون بن هارون بن مخلد بن أبان وكان كاتب المأمون علي ديوان الضياع قال ميمون سمعت الفضل بن مروان يقول لا ينبغي لاحد ان يحقر احداً ولا يأيس (١) من علوه فاني كنت في حدائتي اتوكل لهرثمة بن أعين في مطبخه ايام الرشيد وكان بخيلاً وكان له خادم يشرف علي مطبخه وأجرى علي خمسة عشر درهماً في الشهر ووظيفة خبز فلما كثر توفيري عليه صيرها عشرين درهماً وكنت لا آكل من مطبخه شيئاً فسأل الخادم عن اكلني فمرفه اني لا آكل فامر ان يطعمني من المطبخ كل يوم ويوفر الوظيفة علي منزلي فدعا يوماً دعوة عظيمة فوفرت عليه في الاسعار الف درهم وعرضت عليه بذلك عملاً وسره وحسن موقعه منه وكان بخيلاً جداً فقال يوماً قد استحققت الزيادة

«١» م ٤٠٠: أيس يأيس بغير همزة بمعنى يس.

فكم تحب ان أزيدك فقلت لا أقل من عشرة دراهم اخرى فقال هذا كثير ولكن اربعة دراهم فأيست من خيره واتفق له بعد ذلك خروج عن مدينة السلام فتعالت عليه ولم اتبعه ولزمت الديوان وتعلمت فصرت كاتب مجلس في ديوان الرشيد وكان ذلك اول اقبلي وتخرجت وزادت حالي مع الايام فلما ولي المأمون وعظم من أمر المعتصم كان المعتصم شديد المحبة للصيد وكانت فتنة محمد الخلوع قد صرفت ما كنت جمته من «١» ضياع وبساتين بالبردان «٢» واهرت بعض تنامها «٣» واجتمعت لي حال فلما انجلت الفتنة كنت من وجوه البردان فاجتاز بها المعتصم متصرفاً من صيده مسرعا وليس معه من اصحابه كثير «٤» احد فاجتاز في الطريق وانا واقف على بابي فتوسمت فيه الجلالة وقدرته احد وجوه القواد وكان لي وعد على حامل البلد ان يكون ذلك اليوم في دعوتي وقد اعددت له طعاماً وفيه جداء وحلواء وفاكة كثيرة وثلج استدعيته من بغداد وكان قبل ذلك بساعة قد جاءني خبر العامل انه عرض له مهم في السواد فخرج لوقته فلما رأيت المعتصم وتوسمت فيه الجلالة قات لم لا اخلف «٥» على هذا القائد واضيفه عندي على هذا الطعام الممد قال فكلمته وسألته النزول عندي فاجاب ونزل واكل وشرب وانفذت في الحال فاستدعيت له قيانا وجلس يشرب وقد انبسطت بين يديه وخدمته

«١» الصواب في . «٢» م٠ع : هي قرية على سبعة فراسخ من بغداد .

«٣» م٠ع : كسكان جمع تانيء وهو المقيم ببلده راجع صفحة ٢٨ من المجلد الرابع من مجلة المجمع العلمي . «٤» م٠ع : كذا في الاصل . ولعل صوابه الكثيرين احد .

«٥» م٠ع اخلف عليه . عوضه ولعله اخلف بمعنى اقسم وهو الاظهر .

فحينئذ نشرت است (١) الجيش في طلبه وعرفوا خبره واحاطوا بالدار فمرفت حينئذ انه اخو الخليفة فهبته فبسطني وسألني عن شرح حالي فمرفته فقال لا بد ان تجيء معي الى بغداد وتخدمني ولم يدعني حتى اجتذبتني ودخلت معي الى بغداد وقلدني بعض اموره ثم تزايدت حالي عنده الى ان جمع لي جميع امره ورياسة كتابه ثم خلطني بخدمة المأمون وقلدني ديوان الخراج مضافاً الى كتيبة اخيه ثم رقيت الى الوزارة من تلك الحال التي كنت عليها مع هرة قال ابو الحسين ما رأيت (٢) في الدولة العباسية من الكتاب من اتصل تصرفه منذ نشأ الى ان مات وترددت ولا بعد (٣) الوزارة لديوان الخراج وديوان الضياع - احد من غير ان يتعطل غير الفضل بن مروان وصادره المعتصم على اربعين الف الف درهم فادابها بغير مكروه . وسمعت حامد بن العباس يحكي انه سمع صاعداً يقول حدثني احمد بن اسرايل قال حدثني الفضل بن مروان قال ما في الارض اجمل من وزير يطلب الخليفة منه مالا وهو في ولايته فيعطيه اياه فانه يطعمه في نعمته وانما يدفع النكبة مدة ثم تحدث وقد ذهب المال . فمن ذلك ان المعتصم لما خرج يغزو الروم وانا وزيره استخلفني على سر من رأى واستخلف بحضرته محمد بن الفضل الجرجاني (٤) فلما عاد طمع في فقال لي قد وردت والمال (٥) والجيش مستحق

«١» لعله : اذ اتى . م . مع الظاهر انه انبت الجيش اي تفرق .

«٢» لعله رؤي .

«٣» الجملة محرفة ولعل الصواب وتقلد الوزارة بعد ولايته .

«٤» بالاصل الجرجاني . «٥» لعله سقط : قد ذهب .

فاحتل (١) لي مائة الف دينار من مالك وجاهك ففعلت فلها مضى شهر طلب مني على هذا السبيل خمسين الف دينار ففعلت فطلب في الدفعة الثالثة بمثل هذا الوجه ثلاثين الف دينار فوعدته بها وادفعه (٢) اياماً ثم حملتها اليه فبلغني عنه انه قال لابنه الوائق هذا النبطي ابن النبطية اخذ مالي جملة وهو ذا يتصدق علي به تفاريق . ثم (٣) قبض عليه بعد ايام واخذ منه اربعين الف الف درهم .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو بكر محمد بن عبد الملك التوارخي وكان شيخاً قد عني بجمع التواريخ فلقب بها وكان يجلس في الجامع الى جانب الزجاج ويعظمه قال سمعت المبرد يقول كنت اصحب الفضل بن مروان فذكر بحضرته في ايام الوائق عظم بناء احمد بن الحبيب بسر من رأى وانه استعمل في سقف دهليز داره سبعين قارية ساج والقارية (٤) ساج عظمة تستعمل صحيحة . فقال الفضل ما كانت لي في خدمة لذة في بناء ولا فرش ولا غلمان ولا جوار ولا مفاخرة بمروءة وانما كانت لذتي في العمارة والتوفير ولهذا اتصلت مدتي في صحبتهم وتمهدي وقد وليت للمأمون ديوان الخراج فوجدت الاهواز قد اختلفت بيشق اسوء (٥) ابطل العمارة فانفقت عليه مائة

١٦ م ع عدى احتال بنفسه على حد قول الحماسي :

اذا ماأت من صاحب المك زلة فكأن انت محتالاً لزلته عدرا

٢٢ م ع الظاهر ودافعه . ٣٥ م ع الظاهر ان هذا من كلام احمد بن اسراييل الراوي عن الفضل . ٤ م ع لم نمر على القارية بهذا المعنى . ٥ م ع الظاهر ان الاصل يشق سد او أسداد جمع سد وهو بناء يجعل في وجه الماء .

الف دينار وجددت في عمارة النواحي . وكانت كور الاهواز اذذاك قد ارتفعت باربعة وعشرين الف الف درهم للسلطان فضمنتها له بثمانية واربعين الف الف درهم حاصلة للحمل .

حدثنا ابو الحسين قال حدثنا ابو الفرج محمد بن جعفر بن حفص الكاتب قال حدثنا ابي قال سمعت نجاح بن سلمة يقول ان السبب في علو حال عبيد الله ابن يحيى بن خاقان مع المتوكل ان ابا يحيى بن خاقان بن موسى تقلد ديوان الحراج في ايام المتوكل فقلد ابنه ابا محمد عبد الله مجلساً من مجالس الديوان ولم ير عبيد الله اهلاً لمثل ذلك فغضب على ابيه وصار (الى) الفضل بن مروان وهو يتقلد ديوان الضياع فلزمه وخط بين يديه وكانت ارمينية تجري في ديوان الضياع وكان على اهله مقاطعة فضلها مال جليل فامتنع الفضل بن مروان من اقتضاها (١) لهم وعرض عليه مرفق مائة الف درهم فابي قبولها وطرحها (٢) نفوسهم على اكثر الوجوه بسر من رأى فلم يجب احد الى ذلك فلجأوا الى عبيد الله بن يحيى وسألوه مسأله لما ظهر من اختصاصه به ونفاقه عايه فخاطبه في امرهم فتذمر من رده لانه كان يفعل معه بالرزق (٣) ولا له نفع وكانت حاله قوية وانما اراد التصرف مراغمة لابه وجعل ذلك كالمرفق له والصلة فأجابه وامضى المقاطعة فحمل اليه القوم خمسة آلاف دينار فردها وقال ما كنت لآخذ على معروفى ثمناً فلما خرجوا الى ارمينية احبوا مهاداته

«١» الصواب امضاها . «٢» الصواب وطرحوا . «٣» لعله بلا رزق .

ومكافأته فاستعملوا له فرش بيت ارمني ببساط عظيم ومصليات وانخاخ (١) ومساور (٢) ومخاد (٣) ودست وستور وأذهبوا الجميع وكتبوا عليه كنيته واسمه ولم يكن رأى (٤) قط مثله حسناً وجلالة وحملوه اليه واتفق انه واكل المتوكل تلك السنة بالطرق وامر ان لا يدخل شيء من الامتعة او يمرض عليه فمرض عليه البيت في جملة اجيء به من أرمينية فاستهوله وقال من هذا الرجل فقالوا هو (٥) عبيد الله بن خاقان قال واي شيء اليه حتى يستعمل له هذا العمل لعل هذا مرفق لايه فقبل له ان ارمينية تجري في ديوان الضياع ولا معاملة بينه وبين ابيه فاستشرح الصورة ونقر (٦) عليها الى ان حدث الحديث على صحته فاستحسن ذلك من فعل عبيد الله وامر بتسليم فرشه اليه وقال هذا فتى يدل فعله على كبر همته فلما صرف محمد بن الفضل الجرجاني (٧) عن وزارته قال قد استغنيت عن وزير لان اصحاب الدواوين مرضون عمالهم علي والتاريخ يجعل باسم وصيف التركي واجرى الامر على ذلك مدة ثم انه احتساج الى كاتب يكون بين يديه في أبنيته والتوقيعات في المهم الذي يامر به من حضرته فيها وفي غيره الى اصحاب الدواوين وغيره (٨) فامر ان يطلب له حدث من اولاد الكتاب ينصبه لذلك فسمي له جماعة منهم عيسى بن داود بن الجراح وابو الفضل

«١» م ع في اللسان النخ بساط طوله اكثر من عرضه وهو فارسي . عرب وجمعه نخاخ وفي التاج انه بالفتح . «٢» م ع جمع مسور ومسورة وهي متكأ من آدم وهي المساند . «٣» م ع جمع مخدة وهي الوسادة . «٤» ريدروي . «٥» بالاصل ابو . «٦» م ع المعروف نقر عن الشيء اذا بحث عنه . «٧» بالاصل الجرجاني . «٨» م ع هكذا في الاصل .

ابن مروان وجماعة وكان فيهم عبد الله وعبيد الله ابنا يحيى بن خاقان فحين
مر على سمعه ذكر عبيد الله ذكر حديث الفرش فاختره ولم يزل حاله يرقى معه
الى ان استوزره .

• للبحث صلة •

المحاضرة الاولى

الادب (١)

« أفقه . فعله . غايته »

فكرت في شيء من الكلام أهد به السبيل الى دراسة الأدب في خلال هذه السنة ، قلت : دراسة الادب ، وكان يجب عليّ ان أقول : أحاديث الأدب . لان كلمة الدراسة تدل على شيء من جهد الذهن وعنت الفكر وما ينبغي للادب ان يكون الالهية بتلاهي بها العقل ، لكنها الالهية شريفة لا تشبه غيرها من الالهية ، ما ينبغي للأدب ان يكون الالهة الفكر وراحة البال . فكرت في شيء من الكلام أستعين به على الاستمهال ثم عدلت عن التفكير وقلت ما قاله الاستاذ « برونثير Brunetiere » في اول محاضرة من محاضراته : لعلمكم تعترفون بان المقدمات الطويلة لا تكون في كل حين أروع المقدمات وأفضلها . فلنشرع في حديثنا الاول دون الافاضة في التمهيد .

قلت : الأدب الالهية ولكنها شريفة . واذا أردنا ان نعرف مبلغ شرفها لزمنا ان ننظر الى أفق الأدب المديد . فمضى أدركنا العالم الذي يحيط به الأدب علمنا مقدار اتساع أقيانه وانبساط سلطانه .

قال « اناتول فرانس ، Anatole France » في مقال له في معجمات اللغة :
 أي أحب معجمات اللغة . فانا لا احبها لمجرد فائدتها العظيمة وانما احبها لانها تحتوي على شيء جميل نفيم . انظر الى معجم غازية او الى غيره من المعجمات وتصور انك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك ان في هذه الصفحات التي يبلغ عددها الف صفحة او الف ومائتي صفحة عبقرية فرنسا وطبيعتها . ليتصور ذهنك ان فيها افكارنا

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبيري عضو الجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة . وقد عنزت مجلة الجمع العلمي على نشر هذه المحاضرات كلها متتابعة .

وافكار اجدادنا وافراحنا وافراسهم واعمالنا واعمالهم وآلامنا وآلامهم . ليخطر ببالك ان في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور والمنازل ، آثار الذين استنشقوا الهواء الصالح وشموا النسيم العليل الذي نشمه اليوم . ليخطر ببالك ان كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الافكار كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عددهم . وعاطفة من المواطنين كانت عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم . ليهجم في صدرك ان كل هذه الكلمات المجموعة انما هي لم الوطن والبشر ودمها وروحها » .

اني احب ان اقتبس قول اناتول فرانس في اللغة فأقوله في الأدب نفسه فاذا قلنا في الادب ما قاله اناتول في اللغة ، اذا قلنا على سبيل التجوز ان الادب هو روح الوطن وعبقريته ادر كنا حينئذ معنى كلامنا : الادب ألهية شريفة لا تشبه غيرها من الالهة .

* * *

كنت أطالع رواية من الروايات فعلقت بذهني عبارة قيدتها في دفترتي . قالها شيخ ايطالي في حض فني على درس اللغة اللاتينية :

« ان هذه اللغة الشريفة قد أنستني آثارها المنقطعة النظير آلامي وشجوني في معظم الاوقات . كنت ياسيدي أتغدى وماغداً في الاصفحة من «تاسيت» واتعشى وما عشائي الا هجية من « جوفنال » .

لقد ادرك هذا الشيخ غاية الادب الادراك كله ، ادرك ان الادب يفرج الغم ويكشف الكرب وينثي في العقول لذة لا يمد لها كثير من لذات الدنيا فهي لذة هادئة لا يضطرب صاحبها ولا يقلق . اني على رأي الذين يريدون ان لا يكون الادب موضوع علم وانما أريد ان يكون الادب كما قال عنه الاستاذ (لانسون Lanson) رياضة وذوقاً ولذة . ولا بأس بان اتلو عليكم فصلاً للاستاذ (لانسون) في طبعة الادب وفعله :

« الادب لا يعلمه المرء علماً ولا بدرسه دراسة وانما يمارسه ويحرقه ويحبه واصدق كلام فيه انما هو كلام (ده كارت Descartes) الذي قال : قراءة الكتب الصالحة حديث يحدثك به اشرف رجال القرون الخالية ولكنه حديث لا يعرض عليك فيه اولئك الشرفاء الا احسن افكارهم » .

ان الرياضيين - وانا اعرف طائفة منهم - الذين يلهيهم الادب فيذهبون الى المسارح و يقرأون الكتب على سبيل التسلية انما هم أقرب من الصواب من هؤلاء الادباء الذين لا يقرأون الكتاب قراءة ولكنهم مجردونه تجر بدأ و يظنون انهم يصيبون الاصابة كلها اذا جعلوا ابواباً . خلق الادب لينشيء لذة لنا ولكنها لذة تروض قوانا العقلية فيخرج العقل من رياضة الادب اقوى سلطاناً وامرن طبيعة واغني مادة وعلى هذه الصورة يكون الادب ثقاف الباطن ، هذه هي حقيقة فعله .

وللادب الفضل الاكبر في تدريب الناس على ذوق لذة الافكار انه يروض الفكر فيجد المرء في هذه الرياضة مسرته وراحته وتجدد قواه . انه يذهب تعبنا الذي نعبه في ممارسة الاعمال و يرفع العقل فوق كل واجب وفوق كل مصلحة وفوق كل وهم . اصبحت الفلسفة في عصرنا هذا ضرورة العقل ولكن الفلسفة لا يستطيع درسها كل واحد منا ، اما الادب فانه يعم الفلسفة . بالادب تستفيض في الجماعات المذاهب الفلسفية الكبرى التي ترقى هذه الجماعات وتغير اوضاعها . الادب هو الذي يتهجد النفوس التي اثققتها تكاليف الحياة واغرقتها مشاغل المادة فيحملها على الاعناء بالمسائل السامية التي تستولي على الحياة وتجعل لها معنى او غاية . لقد ضمف الدين في كثير من رجال العصر وبُعد أفق العلم عن كثير من الناس فالادب وحده هو الذي ينزع بنا عن الاثرة الضيقة او عن الحرفة التي تغرس فينا غرائز الحيوانية » .

هذا ما قاله الاستاذ (لانسون) في طبيعة الادب وابلغ كلامه : الادب ثقاف الباطن . من هذا يتبين لنا ان الثقافة الادبية مجردة اي لا غاية مادية لها و كأن الذين وضعوا « قرار » انشاء مدرستنا قد فطنوا لذلك واحبوا ان ينهوا عليه فقالوا : غاية مدرسة الادب العليا ثقيف الجمهور ثقيفاً مجرداً وتعليمهم علماً عالياً في نظام الادب وهم يعنون بذلك ان الثقافة الادبية لانكون غايتها الكسب فلا يدرس الانسان الادب ليعيش به كما يدرس الحقوق او كما يدرس الطب مثلاً وانما يحصل الادب لذته .

اراد احد شباب الفرنسيين ان ينصرف الى الادب فسأل (فلوير) عن رأيه في ذلك فقال له (فلوير Flaubert) :

« الاخلاص يدفعني الى ان ابين لك ان استثمار عمالك امر صعب جداً ان لم يكن

ممنعاً ، انك لاتزال ناعم الشباب فاعمل واعمل كثيراً واعتزل في عمالك ولا تخرج ان تكون لك مكافأة ولا تفكر في نشر ما كتبك ، ثقيل طريقي فقد كان عمري سبعة وثلاثين سنة لما نشرت (مدام بوفاري) فاذا خطر ببالك ان تستخرج فائدة من آثارك ضللت وكنيت من الخاسرين فلا تفكر الا في الفن ذاته وفي كماله وما عدا ذلك فهو تابع له .
لا نظن ان حياة اديب مثلي ناضرة بالازاهير فاذا ظننت شيئاً من ذلك كنت من الواهين ، اذا كان حبك للادب خالصاً فحصل الادب لنفسك قبل كل شيء واقراً كثيراً كتب (المدرسين) وروض فلما على كتابة اشياء شعرت بها وعلى وصف البيئة التي تأنس بها » .

علما (فلوير) ان نحصل الادب لانفسنا دون ان نرجو مكافأة ، ينبغي لنا ان نحصل الادب لمسرة قلوبنا ورياضة عقولنا وتهذيب عواطفنا ، فاذا لم تكن هذه غايتنا لم نستفيد من الادب ، اذا كنا نذوخي الكسب في تحصيل الادب انحط ادبنا عن منزلته الرفيعة وصار صناعة من الصناعات التي يمارسها الانسان ليعيش في هذه الدنيا والادب اجل من ان يكون حرفة ، اننا نحصل الادب لنذوق لذة الحياة ، اننا نحبها كما كان الشيخ الايطالي يجب آثار اللغة اللاتينية . اننا نحبها لانه ينسبنا الآلام والشجون على انه قد يجوز ان يفيدنا الادب فوائد عظيمة ولكن لا ينبغي ان تكون هذه الفوائد غاية الادب وانما نحبها على طريقنا في نزهة العقل كما نجني الورد والريحان على طريقنا في نزهة البدن . اننا لا ننزه لقطف الورد ولكننا ننزه لتروض أجسامنا وكذلك لا ندرس الادب لتعيش به ولكننا ندرسه لتروض به عقولنا .

قلت : قد يفيد الادب فوائد عظيمة ، واذا سمحتم لي قرأت لكم عبارة من مقال لي عنوانه : « الكتاب ملوك » ومن هذا المقال يتبين لكم ان الادب قد رفع كثيراً من الناس ولكن المنفعة يجب ان تأتي على سبيله كما يأتي الورد والريحان على سبيل المتزهين :

اما وقد فرغت من الحديث الاول فما احب ان اخرج من مجلسنا هذا قبل ان يتأكد عندي اننا ادر كنا غاية الادب . ما احب ان اخرج من هذا المجلس قبل ان اتقى باننا علمنا ان الادب انما هو : رياضة وفوق ولذة لا تنفرغ له لغرض من اغراض

الدنيا فهو اجل من ان تكون غابته الكسب وانما نمارسه لنذكر به جمال هذا العالم انما نمارسه لنفرض به غم هذه الحياة . يقول انا تول فرانس في هوغو في معرض النقد : عاش فيكتور هوغو مثلاً تسكره الالوان ورنات الاصوات وقد اسكر العالم بذلك . فاذا جاز لي هذا التمييز قلت : الادب يسكر بالوانه ورنات الفاظه فهو نزهة عقولنا ونم النزهة يشهد الطباع ويبح النفس ويحمر الصدر . اني لا اري اشتطاطاً في الحكم على الادب يشبه اشتطاط تاسوني (Tassoni) الذي كان يعتقد ان الادب مضر بالجماعة والبشرية . اي شيء احسن تزويضاً لمدار كتنا من الادب . اي شيء احسن تهذيباً للاهواء منه . اي ثقافة اعمل في التقريب بين البشر من الثقافة الادبية . واذا لم يكن لادبنا في هذا العصر غابته المحموده فهذا ناشئ عن انه لا يزال في عزلة عن الانواع الادبية الحديثة التي فعلت فعلتها في الامم . فاذا كان لحدبنا خلاصة فهذه خلاصته :

الادب الهية شريفة وحسبها شرفاً ان يكون موضوعها روح الوطن وعمق ريته .

في ٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

المحاضرة الثانية

ثقافة الذوق

دراسة المصادر الأدبية : الانفراد بالرأي في الأدب

ما أظن انكم نسيتم ما حدثكم به في الاسبوع المنصرم ، ما أظن انكم نسيتم أفق الأدب وفعله وغايته ، اني اعتقد الاعتقاد كله ان مطافكم في هذا الأفق الفسح بوطي لكم السبيل الى الاحاطة بروح وطنكم وعبقريته ، واذا قلت روح لوطن وعبقريته عنيت بذلك ثمرات قرائحه ونتائج خواطره من منبثق فجره الى بوهنا هذا . اني اعتقد الاعتقاد كله ان المطاف في هذا الأفق يدخل السرور على القلوب ويشقف البواطن ويهذب العواطف وليس بقليل ان ينسج المرة من حيوانيته ويحياق في جو أعلى من جو البشرية والأدب هذا فعله في الامم . فاذا كانت غايته مجردة وثقافته خالصة نجح واثر : هذا أفقه ، وهذا فعله ، وهذه غايته . ما اظن انكم نسيتم شيئاً من ذلك .

غير اني أتوقع بعد ان بينت لكم أفق الأدب وفعله وغايته على سبيل اليجاز وعلى قدر ما سمح به الزمن ، غير اني أتوقع ان تقولوا لي : أدركنا هذا كله ، ولكن كيف السبيل الى ذوق نذة الأدب ، كيف السبيل الى الاتصال بهذا الأفق والعلم بهذا الفعل والخلوص الى هذه الغاية ، ولو قلت لي شيئاً من ذلك لوقع القول مني موقعه لان السر كل السر في تمهيد هذه السبيل قال الاستاذ لانسون :

« لا أكاد أفهم كيف يدرسون الأدب من دون ان تكون غايتهم في دراسته ثقافتهم وحدها ، لا أكاد أفهم كيف يدرسونه من غير ان يكون مرعى فكرهم الالتذاذ بالأدب ، لا ريب في ان الذين يتفرغون لتدريس الأدب يلزمهم ان يجمعوا معارفهم في نظام واحد وان يهيئوا طرائق في التدريس وار تكون وجهتهم أصح وأوضح من وجهة هواة الأدب الصغار . ولكننا لا ينبغي لنا ان نذهل عن امرين : الامر الاول ان أستاذ الأدب الذي لا يعنى بتثنية الذوق الأدبي في تلاميذه ولا يستميلهم الى ان يهشوا كل حياتهم في الأدب عما يشهد افكارهم ويسليمهم عن مهمهم لا يكون أستاذاً صالحاً ، هنا هو الهدف الذي يجب علينا ان نرمي اليه لان نعد للطلاب جوابات الي يوم الامتحان ،

والامر الثاني لا يستطيع أستاذ الادب ان ينفذ بتدريسه ان لم يكن هو نفسه من هواة الادب قبل ان يكون من العلماء ، لا يمكن ان يثمر تدريسه اذا لم يبدأ بتثقيف نفسه بهذا الادب الذي ينبغي له ان يجعله ثقافاً لغيره ، لا يمكن ان يؤدي تدريسه الى الخوايم الحسنة اذا كان نقب عن الآثار الادبية وجمعها ، ولم تكن غايته في تثقيبه وجمعه زيادة ادراكه للادب وزيادة لذته بمد هذا الادراك .

ما أضح هذا الكلام ! ما ألقه بالحقيقة ! الاستاذ الذي لا يعنى بتثقيف الذوق الادبي في تلاميذه لا يكون أستاذاً صالحاً ، تنمية الذوق هذا هو هدف الاستاذ وعلى حسب ذوقنا الادبي يكون شعورنا بالجمال . واحساسنا للقيح ، على حسب هذا الذوق يكون ادراكنا لمحاسن العالم وقابحيه ، فاذا فسد ذوقنا الادبي ضف شعورنا بجمال العالم وبهجة الحياة ، اذا فسد هذا الذوق انقلبت أضواء الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، وما انحط الادب الا لفساد الذوق ، أصبحنا في عصر لا نستطيع التمييز فيه ، نعرض علينا الآثار الصالحة فلا نهتدي الى التلذذ بصلاحها ، ونعرض علينا الآثار الفاسدة فلا نتقبض عن مواضع فسادها ، ولو سلم ذوقنا لتيقظ فينا الشعور بمتاعة الآثار وشناعتها ، فما كل اثر من هذه الآثار الادبية فاسد قبيح ، ولا كل واحد منها مانع جيد ، فالذوق وحده هو الذي يهدينا سواء السبيل في التمييز والاستاذ هو الذي يقوي فينا هذا الذوق .

تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب .

وقبل ان أبين كيف يستطيع الاستاذ ان يروض تلاميذه على ذوق لذة الافكار أحب ان انظر في الامر الثاني الذي أشار اليه (لانسون) اي أحب ان أبين ان أستاذ الادب الذي لا يكون من هواة الادب لا يستطيع ان يثقف ذوق تلاميذه ، فالادب شيء وعلم اللغة شيء آخر وقد يجوز ان يضرب الاستاذ في اللغة بالسهم الفائر وان يأخذ منها الحظ الاوفر ولا يكون في هذا كله ادبياً ، اي لا يعرف لما كن الجمال ومواطن القبح في آثار اللغة الخالدة فاذا خرج الاستاذ عن ان يكون أدبياً ، اذا لم يستطع ان يذوق لذة الجمال أعقم التدريس وأفسد الاذواق ومنى فسد الذوق فسد كل شيء في الادب ، أستاذك ذوقك : هذه كلمة (فولتير Voltaire) .

قلت : تثقيف الذوق الادبي هذا كل شيء في الادب ، فكيف يثقف هذا الذوق

ويقوم ، كيف يدرب على التمييز في الآثار الادبية ، هنا العقبة الكؤود ، وهنا يظهر ضعفنا وينكشف أمرنا . سئلت مرة عن رأيي في أساليب طلاب (البكالوريا) في الانشاء ، فقلت بعد التمحيص والتدقيق في جملة ماقلت : ان الطلاب لم يتعمقوا التعمق كله في الموضوعات التي طرحت عليهم ، فقد كانت أفكارهم سطحية على انهم كانوا يستطيعون بفضل ثقافتهم العامة التعمق في الموضوعات والذنب في ذلك يرجع الى أساليب التدريس فلم ينظر الطلاب في كتاباتهم نظرات عامة اي انهم لم يبحثوا عن كاتب او شاعر على وجه عام او عن نتائج عصر من العصور على صورة عامة ، او عن التطور الادبي في خلال العصور ، ان الاساتيد لا يدربونهم على التفكير ولا يعودونهم ان تكون لهم أفكار عامة في موضوعات حديثة . وجملة القول ان تدريس الادب ينقصه الشيء الكثير فهو لا يستند الى دراسة المصادر الادبية نفسها اي الى دراسة كلام المؤلف او شعر الشاعر او خطبة الخطيب فان تفسير هذه المصادر هو المعتمد عليه في تدريس الادب والظاهر ان هذا النقص ذاته كان في مدارس فرنسة حتى جاء في بلاغات وزارة معارفها سنة ١٩٠٢ ان تدريس الادب يجب ان يكون أساسه درس المصادر الادبية نفسها .

المعول عليه من كلامنا هذا درس المصادر الادبية لان هذا الدرس هو الذي يقوم الذوق فكيف تدرس المصادر الادبية ، كيف يشرح كلام الكتاب وشعر الشعراء هذا الذي نحوم عليه ونلوب فلا نكاد نصل اليه ، فقد كنا ولا تزال اذا شرحنا شعراً نلوحى تفسير الغريب من هذا الشعر واعراب المشكل من تراكيبه والنتيجه على مذاهب الاستعارات والكنائيات وسائر فنون المجاز هذا شيء وليس بكل شيء ، ان التفسير اللغوي قد يولد فينا ميلاً الى معرفة مفردات اللغة ولكنه لا يولد فينا ذوقاً أدبياً اسيه لا بقوي فينا الشعور بالجمال . واللغة كما قلت شيء والادب شيء آخر ، وكثير من علماء اللغة أنفسهم لا ذوق لهم في الادب .

ان هذه المصادر الادبية التي ننفرغ لدراستها تشتمل على امور غير امور اللغة وآلاتها ان هذه المصادر انما هي آثار ناطقة يظهر على كل واحد منها روح صاحبه وفكره وعاطفته فتدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تنبهكم على آثارها في هذا العصر وفي هذه البيئة وتكشف لكم عن اهواء صاحبها وانفعالاته . فاذا اردتم ان تعرفوا شيئاً من روح الشاعر

ومن فكره ومن عاطفته فان التفسير اللغوي لا يضمن لكم الوصول الى هذه المعرفة ولكنه
 يبينكم عليها فاستنطقوا المصادر الادبية واسألوا كلام المؤلف وشعر الشاعر وخطبة الخطيب
 فان من وراء هذا كله اشخاصاً ينطقون ويشعرون فاذا خالطتم هذه المصادر ومازجتموها
 احظتم بظواهر اصحابها وبواطنهم واتصلتم باسرارهم والغازم فعرفتيم خصائصهم وطبائعهم
 واهتديتم الى اخلاقهم واوراعهم فنشأت في انفسكم من هذا كله لذة منقطعة النظير ومن
 هذا يتبين لكم انه لا بد لكم من الاحاطة بعلم النفس حتى تستطيعوا ان تمضوا القول في روح
 الشاعر وفي عواطفه .

قلت : المصادر الادبية تدلكم على آثار العصر والبيئة فيها او تفهيمكم على آثارها في
 هذا العصر وفي هذه البيئة وهذا معناه انه لا بد لنا من معرفة العصر الذي نحاول درس
 شاعر من شعرائه فلا بد لنا من معرفة مصطلحات هذا العصر والافكار التي ولدها هذا الشاعر
 في عصره والعواطف التي ايقظها فاذا كنا مثلاً ندرس المتنبي ووقع نظرنا على اسلوب غريب في
 شعره او على لفظ غريب فلا يصح ان نجزم ونقطع قبل ان يتحقق عندنا ان هذا الاسلوب غريب
 قياساً الى عصر المتنبي اذ انه قد يكون غريباً في عصرنا وما نوساً في عصر ابي الطيب .
 يستنبط مما تقدم اننا ينبغي لنا ان نستعين بالمصادر الادبية نفسها على فهم روح
 صاحبها وافكاره وعواطفه فاذا استطعنا ان نفهم شيئاً من ذلك نشأ فينا ذوق ادبي . وفي
 نشأ هذا الذوق وكانت سليماً خالصاً شعرنا بمحاسن الآثار الادبية وبهذا الشعور يزداد
 لدينا بمحاسن العالم نفسه على اننا لانستطيع ان ندرك حقائق المصادر الادبية الا اذا كنا
 منفردين بامر البحث والتنقيب فلا ينبغي ان يكون لغيرنا تأثير فينا ، لا ينبغي لنا ان نكرر
 كلام غيرنا على اثر من آثار الادب فاذا فعلنا شيئاً من ذلك كانت دراستنا الادبية
 جامدة لا روح فيها . -

قال الاستاذ « لانسون » :

« اذا حاولت ان تصور خصائص المؤلفات وطبائع اصحابها امتنعت عن تخليص آراء
 من اولعت بهم من الاساندة في هذه المؤلفات اشباه « نين » و « سانتبوف » و « غاستون
 باري » و « برونثير » فالاولى لي وانا اخوض في موضوع ليس فيه حقيقة مبنية على اصول
 مسندة الى عقل ان اخلص ما انشأته في قراءة هذه المؤلفات من الانفعالات وما اخطرتة

بيالي من الآراء وما اهتمت اليه من صيغ فكر المؤلف وعاطفته ، وعلى هذه الصورة وحدها تكون الدراسة صادقة ، فيها روح اذ انه لا يستطيع احد ان يستميل غيره الى الامور التي يخوض فيها الا اذا استعان على ذلك بالذوق الذي ذاقه هو نفسه في هذه الامور .
 هذا ما قاله لانسون ومن قوله هذا يتبين لنا اننا اذا اردنا الكلام على المنبي مثلاً
 لزمنا ان ندرس شعر المنبي نفسه دون ان نردد ما قاله فيه . بعض الاساتذة كالشعالي
 والجرجاني وغيرهما ، اذا اردنا الكلام على حس المنبي لزمنا ان ندل على مواطن هذا الحس
 وعلى طبائعه من دون ان نستعير كلام غيرنا والخلاصة اذا حاولنا دراسة المنبي وجب علينا
 ان نقرأ شعره وندون الآثار التي تركها فينا هذا الشعر وننقل هذه الآثار الى غيرنا حتى
 يكون في كلامنا شيء من الروح والحياة وعلى هذا ينمو ذوقنا في الادب ومتى نما هذا الذوق
 نما معه الشعور بالجمال .

اني لا ارى اضل سبيلاً من الذين لا يريدون ان ينفردوا بأرائهم في الادب . وعلى
 الخصوص بعد ان عرفنا ان الادب ليس فيسه حقائق مبنية على اصول مستندة الى عقل
 ابي ليس فيه شيء من حقائق العلم الثابتة وانما الادب يتبع الذوق والعاطفة فتغير آراء
 الناس فيه بتغير اذواقهم وعواطفهم انظروا مثلاً الى « فيكتور هوغو » فقد قال فيه « فاكه
 Faguet » « هوغو من الخالدين لان جمال الاسلوب هو الذي يخلد » وقال فيه اناتول
 فرانس : « ان مجد الشاعر الذي احتفل امس آخر احتفال بوفاته يأتي عليه اليوم دهر
 صعب خرج لقد ذهب اعجاب المعجبين به الذين كلوا واعيدوا بعد ان جهدوا في ذلك الاعجاب
 خمس عشرة سنة ، وتبددت طائفة من الاوهام فقد كانوا يظنون ان شاعراً كبيراً فكر
 اكثر من ذلك » . انظروا الى تناقض هذين الرأيين في شاعر مثل « هوغو Hugo » ومنه
 يتبين لكم فلتق الادب واضطرابه نذا كان الامر كما وصفنا فما أجدر ان الذين يريدون
 ان يذوقوا لذة الادب . بالانفراد بأرائهم دون ان يكون لغيرهم سلطان عليهم .

هذا ما حاولت تقريره في هذا المجلس وما أريد ان أبسط القول اكثر من ذلك ،
 ولئن كانت خلاصة حديثنا الاول : الادب روح الوطن وعبقريته ، فخلاصة هذا
 الحديث تثقيف الذوق هو الذي يعني لنا الظلمات حتى ندرك روح هذا الوطن وعبقريته .

في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩

تمازج الثقافات

ما اري حاجة الى ان اعيد في هذا المقام ما قلته في دراسة المصادر الادبية ، فقد عرفتم ولا ريب في ذلك كيف يجب علينا ان نقرأ كلام الكاتب او شعر الشاعر او خطبة الخطيب ، عرفتم كيف يجب علينا ان نحيط بروح المؤلف و بافكاره وبعواطفه ، وننظر في اتصال هذه الامور النفسية بعضها ببعض وفي تفاصيلها ومظاهرها ، عرفتم كيف ينبغي لنا ان نبحث عن بيان المؤلف وفنون افصاحه ، وعن خصائص لغته وأسلوبه ، وفي الجملة فقد عرفتم كيف ينبغي لنا ان ندرس المصادر الادبية واذاقلت : دراسة المصادر الادبية ، اردت بذلك التعمق في التلقيب عن فكر المؤلف وعواطفه ، والتمكن من معرفة مراميه والوصول الى تلك الذكريات التي كانت تحطرب بباله في ساعات تأليفه وكتابته ، فاذا كنا نفسر كلاماً فكأننا نحاول ان نقوم مقام صاحب هذا الكلام ونبحث قبالة اعيننا حالة عقله من مرقدما ، وننعمش فكره وانفعالانه بعد ان ذهب اثره ، وانطوى ظله ، ولم تبق منه الا صفحات لا تزي فيها في فاتحة الامر غير صور بعيدة عنا ، وتعاير جامدة لا روح فيها ، فاذا عاجلناها انفضت من مدافنها فأصحت صوراً ناطقة تشعر وتفكر .

كان يجب عليّ به ان فرغت من هذا التمهيد ان اشرع واياكم في قراءة شعرائنا الثلاثة : ابي الطيب و ابي عباد و ابي تمام ، وانا لا اشك في ان لهذه الاسماء العربية صدى في آذانكم لا نجده لغيرها من الاسماء غير اني اذا كنت قد استعنت بطائفة من آراء الافرنجة على الخوض في موضوع للعرب فيه المقام الارفع والمحل الاشجع ، فما اردت بذلك ان اكفر نعمة ادب ذهبت في الشغف به كل مذهب ، ما اردت ان اكفر نعمة لغة امتزجت بالنفس محبتها ، والعود غرض والهنن رطيب ، الا انه اذا كان يتيسر لي الاستشهاد ببعض آراء شيوخ ادبنا في قديم الدهر كالجاحظ واشباهه ، ومن هم اشباه الجاحظ ، فما كان يتيسر لي الاهتمام الى كل الآراء ، والادب قد لبس في هذا العصر برداً قشياً فحدث فيه حوارات وعنتت فيه عوائق ، ونهجت مناهج وملك مسالك ، فلانندوحة لنا عن الاقنباس من بعض الافرنجة ولا غضاضة في ذلك فقد اخذوا عنا فأخذنا عنهم وتلك الايام نداولها

بين الناس وما زالت الامم في قديم الدهر وفي حديثه بقنبلتس بعضها من بعض وقدما تمازجت الثقافات فأدى تمازجها الى العواقب المحموده في عبقرية الفكر .

لنلنفت قليلاً الى القرون الخالية فلننظر الى الرومان كيف اقتبسوا ادبهم من اليونانيين فقرأوا كتبهم ونقلوا طرائقهم ولننظر الى الادب الفرنسي في القرون الوسطى كيف انبلج نوره من أفق اللاتينية وهذا « سبنسر » اخذ عن الايطالية في ايام تجديد ادبها ، وهذا الشاعر الانكليزي « تومسون » قد اثر في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في مؤلفي فرنسا من المصربين المذكورين وقد كان « فولتير » بعد الكاتب « اديسون » وكان « روسو » و « ديدرو » بعد ان « ريشاردون » واي تأثير اعظم من تأثير شاعري الانكليز « شكسبير » و « بايرون » في الادب الفرنسي ، وقد كان شعراء الادب الوجداني في فرنسا متصلين الاتصال كله « بولترسكوت » ومن « ميشله » الى « رنان » قد استنزل كتاب فرنسا الذين نظروا في مصاير النوع البشري وحيهم من المؤرخ الالماني « هرذر » وشاعر الالمان « غوتي » استنزل وحيه من ادب المتقدمين وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر اقتبس الاسبانيون ادبهم من شعراء فرنسا مثل « مولير » ولم يقصر الروس في الاخذ عن الادب الغربي في القرن التاسع عشر ولم يحجم البولويون عن اقتباس ادب فرنسا وابطالية والمانية وانكلترة .

مالنا وهذه الاعجيبات فلننقل الى ناحية اقرب . هذا ادب العرب نفسه ، أفلم يدخله شيء من حكمة الهند ، وفلسفة اليونانيين ، وادب الفرس ، وهذه مصر في عصرنا أفلم يكن للثقافتين الفرنسية والانكليزية اثر في كتابات ادبائها ، أفكان يستطيع اساتيد ادبها ان يسلكوا هذا المسلك في ادبهم لولا معرفتهم بعض اللغات الاجنبيات .

معاذ الله ان ارجي في قولي هذا الى الخروج على عبقرية ادبنا فان الامة التي لا تنصل بماضيها لا تثق بماضرها وآتيها ، وان لنا من هذا الماضي الشيء الذي نخرجه على وجه الدهر ، ان لنا من هذا الماضي محاسن لا تبلى سجنس اليسالي ، ولكن تجديد الادب في هذا العصر امر لامندوحة عنه ، فان الافراط في المحافظة على هذا الادب لا يقل ضرره عن الافراط في التجديد ، ولو شئت لثلوت عليكم صفحة كتبها ابو الحسن احمد ابن فارس بن زكريا المقيم من الف سنة بوجه التقريب ، ما اظن احداً من ادباء هذا العصر

بعقد فصلاً ابلاغ من هذا الفصل في التجديد قال ابو الحسين :
 « ومن ذا حذر على المتأخر مضادة التقدم ، ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الاول
 للآخر شيئاً ، وندع قسول الآخر : كم ترك الاول للآخر ، وهل الدنيا الا زمان ، ولكل
 زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الاصول المحفوظة الا خطرات الاوهام ونتائج العقول ،
 ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ، ولمه لا ينظر الا آخر مثل
 ما نظر الاول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل جمعه ويرى في كل ذلك مثل رأيه ،
 وما نقول لفقهاء زماننا اذ نزلت بهم من نواذر الاحكام نازلة لم تحظر على بال من كان
 قبلهم ، او علمت ان بكل قلب خاطر ارباكل خاطر نتيجة ، ولمه حجرت واسعا وحظرت مباحا
 وحرمت حلالا وسدوت طريقا مسلوكا ، ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم
 كثير ولذهب ادب عزيز وانضات افهام ثاقبة ولكت السنة لسنة ولما وشى احد خطابه ،
 ولا سلك شعبا من شمام البلاغة ولجت الاسماع كل مررد مكرر وللغظت القلوب
 كل مرجع ممضغ » .

ما انقلب نظر ابي الحسين رحمه الله ! ما اهدى فكره ! ما اصفى ذهنه ! لو اقتصر الناس
 على كتب القدماء لضاع علم كثير ولذهب ادب عزيز ، ان عقل البشر ينسبط افقه من عصر
 الى عصر ، ويتسع مجاله من دهر الى دهر فيولد في انبساط هذا الاتق واتساع هذا المجال
 الفاظاً ومعاني لم نك من قبل ، وينشيء الادب لهذه المعاني اساليب طريفة ويفرغها في
 قوالب حديثة ، وعلى هذا يتنقل الادب من تطور الى طور وبتدرج من حال الى حال على
 تماقبات الاحقصاب ، ولو ثبت هذا الادب على اساليب محدودة لاتي عليه حين من الدهر
 لم يك فيه شيئاً ، لو تملص هذا الادب من عوامل الحضارات والثقافات لما وسع شيئاً انسا
 فيجد مذاهب تولد ، ومذاهب تموت والفاظاً تطفن والفاظاً تبعث واساليب تعيش واساليب
 انقرض ، ما اعظم انقلاب الافكار ! قال الاستاذ « شارل ريشة » احد اعضاء معهد باريز :
 « يسير العلم في سبيلة سيراً تحار ثواقب الانظار في سرعته ، على ان العلم لا يزال في
 عنفوان امره ، وربمان عمره ، فالعالم « ارخميدس » على نبوغ فضله وبراعته ، كان
 يجهل ما يعلمه المعلوم اليوم في المدارس الابتدائية ، واجهل تلميذ من تلاميذ المدارس
 التجهيزية يعرف من العلوم التيوراً يجهلها العالم « غليله » نفسه ، ما بين العالم « فرنكلان » وبين

العالم « اثنتين » مائة وخمسون سنة فتصور مسير العلم في مائة وخمسين سنة ، ما اعظم انقلاب الافكار ! لم يكن في القديم علم الاحافير ولا علم الجراثيم ولا علم التصوير ولا الطيران ولا خطوط الحديد ولا حل الطيف الشمسي ، فلا يتجاوز عمر علوم البشر قرناً ونصف قرن ، وما هو قرن ونصف قرن ؟ المشي غير وثيد ، اننا نسير في معرفة الاشياء على سلسلة هندسية متصاعدة وفي يوم من الايام سيكون للرجل بفضل ما يقتبسه من العلوم سلطان عظيم على المادة معها اختلفت أشكالها » .

هذا ما قاله (شارل ريشه) في كتابه العالم . ولو قلتم لي وما هي الاواصر بين العلم والادب لا جيتكم بان العلم اذا امتد سلطانه فانه لا يخلو من التأثير في الفكر والادب كما اشرت الى ذلك في حديثي الاول تسنفيض مذاهب الفلسفة والعلم في طبقات الناس فتعمل عملها في أوضاع الجماعات ، فالادب ظهر العلم ومعينه ، ولو نظرتم في تخالط الامم في هذا العصر ونقارب جماعاتها ، وشيوع لغاتها ، وآثار عقولها ، لرأيت ان الثقافات لاندحة لها عن التمازج والتواصل ، فالامم يأخذ بعضها عن بعض ويهتدي بعضها ببعض ، لا شك في ان لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها تصلح لها وقد لا تصلح لغيرها من الامم غير ان تمازج الثقافات اذا روعي فيه روح الامة وروح لغتها أفضى الى الخواتيم الحسنة في نتائج العقول وثمرات الالباب تنضرب مثلاً لذلك .

قلت : لكل أمة ثقافة أدبية خاصة بها ، فاذا قابلنا بين الشعوب السامية وبين الشعوب الآرية وجدنا ان الفكر في هذه الشعوب مختلف بعض الاختلاف فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع ان يتجرد من الصورة المادية التي تستره وتنطيه ، ولذلك فانك تجد لغة التوراة لغة شعرية ساطعة الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة ، فالذهن في الامم السامية عنيد فانه يحفظ بالصورة ويحرص على طابع الانفعال المادي ، اما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع الى تصور الفكرة المجردة وإدراكها ، ولعلك تجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية ، لان التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد^(١) .

(١) رأي الامتاز « دارمستر » صاحب كتاب : حياة الانفاظ .

فلما تقارب العرب وبعض الشعوب الآرية كإفروس واليونانيين انتقلت آثار هؤلاء إلى العرب والفلسفة من جملة هذه الآثار ، فهي نتيجة من نتائج تمازج الثقافات وما أظن أن الفلسفة خلت من رسوم حسنة في الفكر العربي .

ما أردت التبسط في هذا الموضوع ولا كانت غايي استنهاض هممكم للتقليد فاني من المتشددين في الحرص على أوضاع أدبنا والاحتفاظ بمذاهبه ، إلا أن هذا التشدد لا يمنعنا عن اقتباس ما يزيد في رونق لغتنا وأدبنا فاني أخشى إذا جمد هذا الأدب أن يضيق عن استيعاب ما استحدثته حضارة العصر فإذا أخذنا في بعض الإحاطين عن ثقافات الأمم ما يحسن أخذه فلا حرج علينا في ذلك ، وقديماً استعان أدباؤنا بآثار من جاورهم وخالفهم فما نقصت مقاصد يرم ولا خفت موازينهم ، فطلعوا على قومهم بأدب مصقول الحواشي مهذب الأطراف ، على أني لا أقول بالمبالغة في الأخذ والاقتباس فإن ميراثنا الأدبي روحاً يجب علينا أن نحافظ عليه ، وإن للعصر روحاً مالنا منه فلت ، فالتأليف بين الروحين صقال الأدب ونموه .

دمشق : في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٢٩



فصح وشوارب

الارض مشعلة : كثيرة الثعالب . وسرفة كثيرة السرفة وهي دو بنة سوداء
 الرأس وسائرهما احمر لتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان على مثال الناووس تضم
 بعضها الى بعض بلعابها وتدخله فتموت فيه ومنه المثل (اصنع من سرفة) .
 ومشبولة كثيرة الاشبال . ومشاهة ذات شاء او كثيرة الشياه . ومفعاة كثيرة
 الافاعي . ومفارة وفثرة كثيرة الفبران . ومقدرة كثيرة الغدور اي الوعول الغاذرة .
 ومضبة ومضبة كثيرة الضب . ومضغبة كثيرة الضغابيس والضغبوس ولد الثعلب .
 ومبعضة كثيرة البعوض . ومبقة كثيرة البق . ومحيأة ومحواة كثيرة الحيات .
 ومكابة كثيرة الكلاب . وموزة كثيرة الوز . وموحوشة ذات وحش او كثيرة
 الوحش . وماوزة كثيرة الأوز . ومجرودة كثيرة الجراد . ومثورة كثيرة الثيران .
 وجرذة كثيرة الجرذ .

ويقال أظبت الارض كثرت ظباؤها . وأسبع الطريق كثرفيه السباع .
 وأضب المكان كثرت ضبابه . وأبعض القوم صار في أرضهم البعوض .
 وارض محربشة كثيرة الحرباء . ومسروعة ذات مروء وهي البيهوض من الجراد
 والسلك والضباب . ومظبأة كثيرة الظباء .

* * *

وانتهج الرجل طلب النهج . وأوعر السالك وقع في وعر من الارض . وأجدد لزم
 الجدد وهي الارض القليظة المستوية ومنه المثل من سلك الجدّد أمن العثار .
 وحق الطريق ركب حافه اي وسطه . وسمت : لزم السمّ وهو الطريق والمحنة
 نقول خذ في هذا السمّ .

وأسبل الطريق : كثرت سابلته . وطرق الموضع : جعله طريقاً يقال لانظر فوا
 المساجد - وللابل : جعل لها طريقاً . واستطرق الشيء : اتخذه طريقاً . وأجدد
 الطريق : صار جدداً . واستنهج : صار نهجاً .

* * *

وعشّر الغراب : نعى عشرة أصوات في طلق واحد . ونغى نغيقاً ونغاقاً : صاح غيق غيق . وقطت القطا نقطو قطواً : صوتت بقولها قطا قطا . وفقطت صوتت وحدها . وعندل العندليب : صوت ومثله وطاءً الوطواط وبطبط البط وزرزر الزرور ونغنت النغنة . وقد مأمأت الشاة والظبية مأمأة : واصلت صوتها فقالت مئ مئ . واقلق اللقلاق : صوتت . وكذا فقعم القمقم وتضوع الضوع .

ويقال داهى القوم مداهاة ودهاة اي أصابهم بدهاية . وصأتهم الصأاة : أصابتهم والصأاة الداهية ومثله ذبأتهم ذبول . وفقرته الداهية فقراً : نزلت به فكسرت فقار ظهره . وقد نزه الرجل ترها اي وقع في الترهات . وأصبر : وقع في ام صبور اي الداهية . ودبلته الدبول اي دهمته الدواهي . وأفلق الرجل : جاء به لمأى فلماق اي بالداهية .

وأفتق الرجل : أفتت عليه الفتوق اي الآفات من جوع وفقر ودين . ونكبه الدهر اي أصابه بنكبة . ووتر فلاناً أصابه بوتر . وأنظمه أوقعه في اسر فظيع شديد . والأى الرجل وقع في اللاأواء وهي الشدة والحننة . وأزى الناس : أصابهم الأزل اي ضيق العيش وقحطوا . وأسئوا أجدبوا واصله من السنة بمعنى القحط والجدب . وشنا القوم وأشتوا : أجدبوا في الشتاء . وثغبوا ثغباً أصابهم الثغب وهو القحط . وأحمل الله الارض : جعلها محملة . وأحطها أصابها بالقحط . وجرد القحط الارض وجردها : جعلها جرداء . ودببت الارض : أكل الدبى نباتها فهي مدببة ومدبوبة . وجردت وجردت : أكل الجراد نباتها — وجردت الزروع : اصلها الجراد . وبشّر الجراد : اكل ما على بشرة الارض اي وجهها .

ويقال اكثأت الارض : كثرت كدأتها وهي الحنزاب او الكراث او يزر الجرجير . وأفتأت كثريها القشاء — والقوم كثر القشاء عندهم . واجملوا كثرت جمالم . وأشعم الرجل اذا كثر عنده الشعم مثل ألم اذا كثر عنده اللحم . وأبلى الابل : كثرت . وأبلى الرجل : كثرت إبله ومثله أبلى اببالاً . ونعقر : كثير عقاره وهو

خيار المال والكلأ . وأَضَبَّ البلد : كثرت ضبابه . وأَثَلَّ الرجل : كثرت عنده
الثَلَّة وهي الضأن الكثيرة وفي القاموس جماعة الغنم الكثيرة او من الضأن خاصة ولا يقال
للمعزى الكثيرة ثَلَّة ولكن حَيْلَة ، فاذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لها ثَلَّة ومنه
بنو فلان مُثَلِّمُونَ اي اصحاب غنم .

ورسَل القوم : كثر رسلهم وهو اللبن ما كان . وأزبدوا : كثر زبدهم . وأزاتوا
كثر عندهم الزيت . وأرحلوا : كثرت رواحلهم وهي الابل القوية على السفر والاحمال .
ونفض الرحل ونفض : كثر ناضه اي دراهمه ودنانيره .
وأغزرت القوم : غزرت ابلهم وشاؤهم وكثرت ابلانها - وصاروا في غزير المطر
وهم قوم مُغزِر لم اي غزرت ابلهم والبانهم .
وقد أ كثر الرحل اي كثر ماله .

(النبك) : سالم خليل رزق

آراء وافكار

قوة الحافظة و كثرة المحفوظات

اذكر في هذه المجالة فريقاً من العلماء الاعلام الذين نؤثر عنهم قوة الحافظة وكثرة المحفوظات مثبتاً لهم هاتين الصفتين دون باقي صفاتهم واخبارهم التي هي من وظائف المؤرخين وثقاة الاخبار قاصداً بذلك الفات انظار ابناء المدارس والكتائب الى ما في الحفظ من الفوائد والمقاصد فنشورهمهم الى اقنفاء آثار اربك الرجال و يسرون على مناهجهم في حفظ ما يمليه عليهم اسانديتهم ومعلوم خصوصاً منهم من رزقه الله حافظة قوية فعرف قدرها وما اضعها بالانصراف عنها الى ما يضعفها من الانهاك بالاكل والشرب وباقي الملذات البدنية ولم يقارف شيئاً من مورثات النسيان على ما سنذكره قريباً .

ان ابناء المدارس الذين وهبهم الله قوة في حافظتهم هم اولى الناس بصرفها الى الحفظ والا كثار من المحفوظات لأب العائق الذي يعوق غيرهم عن استثمار هذه القوة « وهو الاشتغال بتحصيل المعاش » فد كفاهم اولياؤهم امره فلم يبق عليهم سوى القناعة باليسير والانصياب على حفظ ما يتلقونه من اسانديتهم وبذلك يحرزون شرف النبوغ في علومهم وباللون مزية التفوق على غيرهم ممن حرم هذه القوة اورزقها ولكنه لم يتفوق لاستخدامها .
وانني قبل الشروع بذكر الحافظة وبيان محفوظاتهم آتي على ذكر بعض فوائد لها علاقة بهذا الموضوع فأقول :

العلم ما يحفظ لا ما يكتب — .
قالوا : ليس بعلم ما حوى القمطر ... ما العلم الا ما وعاه الصدر
وقيل العلم في الصدور لا في السطور ، وقيل العلم ما استحضرته وانت في جانب جرن الحمام : يريد قائل هذا ان العالم الحقيقي هو الذي اذا تحدتته بمسألة علمية بدهك بالجواب الصواب غير قائل لك حتى اراجع الدفتر او الكتاب .
معنى الحفظ — . يقال حفظ القرآن : استظهره ووعاه على ظهر قلبه ومنه قول الحديثين عرض محفوظاته على فلان ، ويقال حفيظ وحافظ من قوم حفاظ وهم الذين

رزقوا حفظ ما سمعوه وقلما يسون شيئاً بعمونه . و يقال حافظ من قوم حفظه ككتاب
و كسبة والحفظ نقيض النسيان وقلة الغفلة . و يقال رجل حفظه كهمزة اي كثير الحفظ .
ومن المجاز قرأه عن ظهر القلب اي قرأه حفظاً بلا كتاب . و يقال حمل فلان القرآن
على ظهر لسانه كما يقال حفظه على ظهر قلبه . واستظهر القرآن اي حفظه وقرأه ظاهراً .

ومن المجاز ايضاً ظهرت على القرآن واظهرته ا قرأته على ظهر لساني .

عناية السلف بحفظ الحديث واللغة — كان السلف يتبارون بحفظ الحديث واللغة
ويرون ان النبوغ فيها غير متاح الا لمن يحفظهما ياسانيدهما . وكان حفاظها يملونها
في مجالس لم يحضرها اولو العناية بها و يكتبونها عنهم . وقد املى حفاظ اللغة والادب
من المتقدمين الكثير فاملى كل من ثعلب وابن دريد مجالس كثيرة واملى ابو محمد القاسم
ابن الانباري وولده ابو بكر ما لا يحصى . واملى ابو علي القالي خمس مجلدات واملى
الشريف المرتضى كتاب الفرر والدرر املاء في مجالس على فنون من المعاني والادب تكلم
فيها على النحو واللغة وغير ذلك . وآخر من املى في اللغة ابو القاسم الزجاجي سنة ٣٣٩ :
اما املاء الحديث فقد استمر الى سنة ٨٢٢ ثم انقطع .

على ان العلماء الذين اكثروا من المؤلفات في مختلف العلوم والفنون كصاحب الاغانى
والغزالي والزخشري وابن تيمية والجلال السيوطي — هم ليسوا دون اصحاب الامالي في قوة
الحافظة وكثرة المحفوظات بل هم باعتبار كثرة مؤلفاتهم جديرون ان تعد مراتبهم في
قوة الحافظة وكثرة المحفوظات فوق مراتب اصحاب الامالي فان مؤلفات كل واحد منهم
على انفراد قد تفاهى بحجمها وعظمتها جميع كتب اصحاب الامالي وقد نقلها الى القرطاس
من خزانه حافظته صفواً عفواً كاصحاب الامالي لا من الكتب المحفوظة في خزائنه اذ
العقل يجيل ان تتسع ايام حياته لتأليف تلك الكتب الكثيرة اذا لم يكن مستظهِراً لها
بان كانت مسألة منها لم يفرغها في قالب التأليف الا بعد ان يبحث عنها في مظانها من
الكتب المحفوظة في خزائنه .

فانا نرى في المؤلفات المنسوبة الى الجلال السيوطي مثلاً — ان مجرد نسخها وكتبتها
ما تضيق عنهما ايام حياته فكيف يمكننا والحالة هذه ان نصدق ان كانت غير محفوظة
له ان تتسع لتأليفها ايام حياته اذ كان كل كتاب منها لم يتم له تأليفه الا بعد ان راجع

عن مسائله الكتب المختصة كما هو الحال والشأن مع احدنا اذا اراد ان يكتب في موضوع ما .
اهتمام ائمة اللغة يحفظ غريبها - . كان المشغل باللغة لا يرى نفسه اهلاً لان يدعى لغوياً حتى يحفظ منها الغريب ، روى صاحب كتاب فتح الطيب عن محمد بن احمد الانصاري المعروف بالابيض انه سئل عن لغة فمجز عنها بمحضر من خجل منه فأقسم ان يقيد رجله يقيد حديد ولا ينزعه حتى يحفظ كتاب (الغريب المصنف) فانفق ان دخلت عليه أمه وهو في تلك الحالة فارتاعت وقالت له هل جنت فقال :

روعت عجوزي أن رأني لا بساً حلق الحديد ومثل ذاك يروع
فالت جنت فقلت بل هي همة هي عنصر العلياء والينبوع
سن الفرزدق سنة فلتبعها اني لما سن الكرام تبوع

قلت (الغريب المصنف) كتاب الفه ابو عبيد القاسم بن سلام وله كتاب غريب الحديث وكتاب غريب القرآن . واما قوله سن الفرزدق الخ فقد اشار بذلك الى ما فعله الفرزدق لما اراد حفظ القرآن فانه قيد رجله بقيد من حديد ولم ينزعه حتى حفظ القرآن .

ما يجب على الحافظ مراعاته - . يجب على الحافظ ان يستوعب في حافظته ما يريد حفظه بلفظه ولا يجوز له ان يستوعبه بمعناه دون لفظه الا اذا كان عارفاً بواقع الكلام قادراً على ان يأتي بلفظ مرادف للفظ الاصلي مساوٍ له في المعنى جلاءً وخفاءً من غير زيادة في المعنى ولا نقص فان المقصود هو المعنى دون اللفظ ، وهذا في غير القرآن واللغة فان حافظهما لا يجوز له ان يحفظ فيهما المعنى دون اللفظ لان الغرض فيهما هو اللفظ بعينه .

ومما يجب على الحافظ ايضاً ان يفهم معنى ما يحفظ والا كان كالبيضاء نطق بما تلقن من الكلمات ولا يفهم لها معنى او كان كالرجل الذي يقال عنه انه كان يحفظ كتاب الروض للمقري ولا يفهم لمسائله معنى فكان الطلبة يقترحون عليه قراءة بعض فصول منه فيقرؤها ويحصلون منها على بغيتهم وهو لا يفقه معنى ما قرأ عليهم فصاروا يسمونه حمار الروض اخذاً من آية (فمثل كمثل الحمار يحمل اسفارا) والى هذا اشار بعض الصوفيه بقوله :

حمار العنب ايش معناه حامل ثقيل الاراطل

غير مثلذذ مجلواه وهو حامل الحمل باطل

وقال مروان بن ابي حفصة بدم قومًا استكثروا من رواية الاشعار من غير نفهم ما فيها من المعاني واللطائف :

زوامل للاشعار لا علم عندهم بجيدها الا كهلم الاباعر
لعمر ك ما يدري البعير اذا غدا باو اقه اوراح ما في الغرائر

ومما يجب على الحافظ ايضا ان يكرر ما يحفظه كي لا ينساه فان ترك التكرير من اكبر موجبات النسيان فقد قيل آفة العلم النسيان واعظم بواعث النسيان الترك . قيل للاصمعي كيف حفظت ونسي أصحابك قال درست وتركوا .

مورثات النسيان . — يروي عن سيدنا علي بن ابي طالب انه قال : عشرة تورث النسيان كثرة المم والحجامة في النقرة والبول في الماء الراكد واكل التفاح الحامض واكل الكسفرة واكل سور الفأر وقراءة الواح القبور والنظر الى المصلوب والمشبي بين القطار بين والقاء القملة حية اه . كان السلف يعتقدون صحة هذه الاسباب ويبتجافون عن اتيانها وان كانوا يعجزون عن تعليل تأثير بعضها اذ لا مجال للعقل في ادراك ما هو الارتباط الكائن بين القوة الحافظة وبين البول في الماء الراكد واكل سور الفأر والقاء القملة حية وقد عد قوم في جملة مورثات النسيان — الاكثار من تناول الحوامض والنظر الى مايجب ستره واطالة النظر في النجوم .

قلت لا بأس ان يضاف الى هذه المورثات ما قد يكون اعظم منها تأثيراً في الحافظة وهي البطنة ويقال لصاحبها البطن وهو الأشر المتمول ومن همه بطنه او الرغيب الذي لا ينهي من الاكل كالمبطن فقد قيل : البطنة نذهب الفطنة ، ومن تلك المورثات الافراط في الباهة فانه يضعف الدماغ وينقص مادته ، ومنها ادمان المسكرات والخدرات على اي صفة كان تعاطيها ومن اي نوع كانت حتى السموطات والتدخين بالتبغ ، ومنها كثرة النوم فانها تورث الخمول وتبطل الفكر ، ومنها حبس الذاكرة وصرقها بكليتها الى الاشتغال باحراز المال وطلب الرياضة فان المتدهور في هذه الهاربة السحيقة لو كلفته حفظ حديث او بيت واحد لا ظهر لك العجز عن حفظه .

ومنها وهو اعظمها بل هو الكل في الكل في تورث النسيان — المم ولا سيما ما يتوالى منه كل يوم على العائل المملق وما يمانيه من الضنك والكرب في سبيل الحصول على معاش عياله ،

ذلك هو السبب الاقوى في طمس الواج الفكر والفنك في القوة الحافظة والاغارة على ما اكتنز فيها من جواهر العلوم والفهوم فقد نقل عن الامام الشافعي قوله : (لو كلفنا بصلة ما تعلمنا مسألة) .

قوة الحافظة موهوبة لا مكتسوبة — . قوة الحافظة منحة ربانية يخص الله بها من يشاء من عباده فهي كباقي المواهب الطبيعية لانال بالسمي ولاتدرك بالارادة .

لا يكبر على القاري تصديق ما سنورده في اخبار اقوياء الحافظة وكثرة محفوظاتهم فيقول ان هذا الا من مبالغة المؤرخين ومجازفات نقلة الاخبار بل يعتقد ان للطبيعة خوارق نتخذها مظاهر في كل زمان ومكان وان الذين اختصوا بهذه الملكة العظيمة في التاريخ الاسلامي انما امتازوا باستثارتها على غيرهم بما كانوا عليه من صفاء القرائح وبساطة المعيشة وصدق العزيمة وصميم الاعتقاد يجسني العقبي فلم يسلطوا على تلك الملكة ما يضعفها ولا قارفوا شيئاً من مورثات النسيان بل تجافوا عنها جدا لتجافي واعظم . استعانوا به على صيان موهبتهم هذه تجردم من حب الدنيا وهجرم المذات البدنية وايتارم الكمالات النفسانية واستجلاء العلوم على كل لذة فتسوغوا بالمعفاف وتبلغوا بالكفاف .

يحكي ان ابا حامد الاسفراييني الذي انتهت اليه في وقته رئاسة الدين والدنيا كان يعيش عبسة الكفاف ، يحرس في درب و يطالع على زيت الحراسة و يعيش من اجرها ، وان ابن حمدويه علي بن احمد الامام البيهقي كان له عمامة و قميص بيته وبين اخيه اذا خرج هذا فقد هذا واذا قعد هذا خرج هذا ، وان ابانصر محمد الفسارابي كان قانعا باليسير من الرزق كان في اول امره ناظور بستان في دمشق وهو مع هذا ملازم للاشتغال ليله ونهاره فكان في اكثر لياليه يستضي على المطالعة بقنديل الحارس وأراد سيف الدولة أن يوسع عليه فلم يقبل سوى اربعة دراهم فضة في اليوم ، وكان عبدالرحمن بن محمد الانباري لا يعتره نصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار اجرهما نصف دينار في الشهر يقنم به و يشتري منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوء وتحت حصير قصب وعليه ثوب خلق ولا يخرج من بيته الا يوم الجمعة وسيراليه المستضي خمسمائة دينار فردها فقال له اجعلها ولدك فقال : ان كنت خلقتك ارزقه . وكان محمد بن القاسم الانباري لا يأكل الا البقول ولا يشرب الا قرب المعصر مراعاة لحفظه وسياثي ذكرهما . ولو اردت

استقصاء ذكر أمثال هؤلاء المنقشين في معابشهم وإشاراً للذة العلم على كل لذة لاتسع لنا
المجال وأفضى بنا الحال الى الملل .

وهنا أشرع بذكر العلماء الحفظة الذين وعدت بذكرهم في افتتاح هذه المقالة : أبدأ
بتسطير سنة وفاة احدهم ثم اتبعها بالكلام على سرعة حفظه وما يؤثر عنه من المحفوظات :
مقتصرأ على ذكر أشهر مشاهيرهم مضر بآ عن ذكر من نقل عنه انه كان يحفظ كتاباً او كتابين
فان الا حاطة بذكر هؤلاء مما يلائم مجلدنا ضمناً يجدر ان يؤلف على حدته فأقول :
(سنة ٦٨) عبدالله بن عباس : يحكى عنه في قوة الحافظة انه استنشد عمر بن ربيعة
القرظي شيئاً من شعره فأنشده فصيدته التي اولها :

امن آل نعم انت غاد فبكر غداة غد ام رانح فهبجر

وهي تعد ثمانين بيتاً فاعترض عليه احد الحاضرين بقوله : أنتضرب اليك اكباد الابل
تسألك عن الدين وياتيك غلام من قر يش فينشذك سفها فقال عبدالله ماسمت سفها
فقال المعترض :

رأت رجلاً اما اذا الشمس عارضت فيغزى واما بالعشي فيخسر

فقال ابن عباس ما هكذا قال وانما قال (فيضحي واما بالعشي فيخسر) قال المعترض
او تحفظ الذي قال قال والله ماسمتها الا ساعتي هذه ولوشئت انت اوردتها لأوردتها
وأنشده اياها كلها .

(سنة ١١٧) فتادة بن دعامة السدومي البصري الاعمى : كان يضرب به المثل في
حفظه قال ما قلت قط لمحدث أعد علي « وما سمعت أذناي شيئاً الا وناه قلبي » قال
الامام احمد بن حنبل في حقه : فتادة عالم بالنفسير و باختلاف العلماء ثم وصفه بالفقه والحفظ
وقال فلما نجد من تقدمه ، قرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها .

قلت لانجد ما تشبه به أدمغة من عرفوا بحفظ ما يلقى اليهم من الكلام من سمعة واحدة
كمبدالله بن عباس وفتادة وابي تمام والمنبي والمري — الا بقرص الآلة المعروفة عندنا
بالساعة او حافظة الصدى (الفونوغراف) فان ذلك القرص شبيه بادمغة اولئك من جهة
حفظه ما يلقى اليه من الكلام من سمعة واحدة .

(١٥٥) حماد الراوية : قال له الوليد بن يزيد الاموي — بما استحققت هذا الاسم فقال لاني اروي اكل شاعر تعرفه يا امير المؤمنين او سمعت به ثم اروي لاكثر منهم عن تعرف بانك لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشدني احد شعراً قديماً ولا حديثاً الاميزت القديم من الحديث ، فقال له فيكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال كثير . ولكنني انشدك على كل حرف من حروف الهجاء مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال سأمتحك في هذا ثم امره بالانشاد فانشد حتى ضجر ثم وكل به من استخلفه ان يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية واخبر الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم .

(٢٠٦) الامام محمد بن ادريس الشافعي : كان يحفظ الكثير الوافر من العلوم بكتاب الله وسنة رسول الله واختلاف اقوال العلماء وكلام العرب واللغة والعربية والشعر حتى ان الاصمعي على جلالة قدره في هذا الشأن قرأ عليه اشعار المهزلبين : قال الامام الشافعي قدمت على مالك بن انس وقد حفظت الموطأ فقال لي احضر من يقرأ لك قلت انافاري فقرأت عليه الموطأ حفظاً . وحفظ الشافعي خمسة وعشرين حديثاً حدث بها مالك في جلسة واحدة ، وحفظ كتاب الاوسط لابي حنيفة في ليلة واحدة .

(٢١٧) عبد الملك المعروف بالاصمعي : كان يحفظ ستة عشر الف ارجوزة وحضر مرة في مجلس الحسن بن سهل وكان يوقع في رفاع للناس في حاجاتهم وكانت خمسين رقعة وبعد ان وقع بها كلها اخذ يتذاكر مع من حضر مجلسه في الحفظ والحفظه فالتفت ابو عبيدة وكانت من جملة الحاضر بن وقال للحسن ما معناه — هنا من يقول ما قرأت كتاباً قط فأحتاج ان اعود فيه ولا يدخل قلبي شيء فخرج منه فقال الاصمعي الى الحسن — ايها الامير ان ابا عبيدة يريدني بهذا القول وقد صدق فان الامير قد نظر فيما نظر من الرفاع وانا اعبد من حفظي ما فيها وما وقع بها الامير على كل رقعة منها فأحضرت الرفاع ليعارض بها ما يقول فقال الاصمعي — صاحب الرقعة الاولى قال كذا واسمه كذا فوقع له بكذا والرقعة الثانية والثالثة حتى مر نيف واربعين رقعة فالتفت اليه نصر بن علي وقال له ايها الرجل ابق على نفسك من العين فكف الاصمعي .

(٢١٩) ابو بكر الحميدي بن حميد : كان يحفظ لابن عيينة عشرة آلاف حديث :

(٢٣١) حبيب بن اوس الطائي المعروف بابي تمام : كان له من المحفوظات ما لا يلحقه غيره : قيل كان يحفظ اربعة عشر الف ارجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع ، وكان يحفظ القصيدة الطويلة مني سمها مرة واحدة ، وانشد البحرني قصيدته التي اولها « أفاق صب من هوى فأفريقا » وكان ابو تمام حاضراً لحفظها كلها وهي تبلغ نحو سبعمائة بيتاً وقصتها مشهورة مذكورة في ترجمته .

(٢٤١) الامام احمد بن حنبل : كان يحفظ الف الف حديث وعن ابي زرعة انه احرز كتب احمد يوم مات فبلغت اثني عشر حملاً وعدلاً ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ولا في بطنه حدثنا فلان وكل ذلك كان يحفظه على ظهر قلبه .

(٢٥٦) الامام اسماعيل البخاري صاحب الصحيح المنسوب اليه : كان آية في الحفظ والضبط وبلغ ما حفظه في صباه سبعمائة الف حديث ثم بلغ حفظه بعد ذلك مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح ، وامتنح حفظه جماعة من اهل الحديث فجمعوا مائة حديث وقلبوا متونها واسانيدها وجعلوا من هذا لاسناد الآخر والقوها عليه واحداً بعد واحد وهو يسبها ويتجاهل بمعرفتها حتى اذا فرغوا من القائها طفق يحيب عنها واحداً بعد واحد فرد كل حديث منها الى اسناده الصحيح وكل اسناد الى منته فأقر له الناس بالحفظ والضبط واذعنوا له في الفضل .

(٢٦٤) اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : قال احمد بن حنبل في حقه — عندنا امام من أئمة المسلمين وما عبر الجسر أفقه من اسحق . قال اسحق احفظ سبعين الف حديث واذا كر بمائة الف حديث وما سمعت قط شيئاً الا حفظته ولا حفظت شيئاً قط فنسبته . واملى على جماعة من اهل العلم احد عشر الف حديث من حفظه ثم قرأها عليهم فما زاد حرفاً ولا نقص حرفاً .

(٣٠٢) يونس بن حبيب النخوي : قال ابو عبيدة ممر بن المثنى — اختلفت الى يونس اربعين سنة أملاً كل يوم الواحي من حفظه .

(٣٠٨) عبد الله بن محمد المكفوف القيرواني : كان يجلس مع حمدونة النجعة في مكتبته فرما استعار بعض الصيبيان كتاباً فيه شعر او غريب او شيء من اخبار العرب فيقنضيه صاحبه اياه فاذا ألح عليه أعلم عبد الله فيقول له اقرأه علي فاذا فعل قال أعده ثانياً

- ثم يقول له رده على صاحبه ومتى شئت تعال حتى أمليه عليك .
- (٣٢١) محمد بن الحسن بن دربد اللغوي : كان واسع الرواية لم ير احفظ منه وكانت دواوين العرب تقرأ عليه فبسابق الى اتمامها من حفظه .
- (٣٢٨) محمد بن القاسم الانباري النحوي : كان اكثر الناس حفظاً في الادب قال ابو علي القالي - كان محمد الانباري يحفظ ثلاثمائة الف بيت شاهد في القرآن الكريم وقيل له قد اكثر الناس في محفوظاتك فكيف تحفظ قال أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها .
- (٣٥٤) احمد بن الحسين ابوالطيب المنبي : كان سريع الحفظ وقف مرة على وراق فجاء رجل ومعه كتاب للبيع فأخذه المنبي من يده وطقى بقرأه فقال له صاحبه ادفع الكتاب للوراق وبعد ان يشتريه مني خذه منه واقراءه فدفع المنبي الكتاب للوراق وقال له لم يبق لي به من حاجة فاني قد حفظته ومر بتلاوته حتى أتى على آخره .
- ومما يدل على كثرة حفظه كثرة نقله اللغة واطلاعه على غريبها وحوشها ولا يسأل عن شيء الا ويستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان ابا علي الفارسي قال له يوماً كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال في الحال مجلي وظربي قال الشيخ ابو علي فطالمت كتب اللغة ثلاث ليال على ان أجد لهنين الجمعين ثالثاً فلم أجد .
- (٣٥٦) علي ابوالفرج الاصبهاني صاحب كتاب الاغانى : قال النونى في حقه : ومن المتشيعين الذين شاهدناهم - ابوالفرج الاصبهاني يحفظ من الشعر والاغانى والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ار قط من يحفظ مثله و يحفظ دون ذلك من العلوم الأخر اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازي ومن آله المنسادة شبيهاً كثيراً مثل علم الجوارح والبيطرة ونف من الطب والنجوم .
- (٣٥٦) اسماعيل ابو علي القالي صاحب الآمالى المنسوبة اليه وقد أملاها من حفظه وله غيرها من المؤلفات الكثيرة التي أملاها من حفظه ايضاً .
- (٣٨٥) علي بن عمر المعروف بالدارقطني : كان يحفظ ديوان السيد الحميري الذي يشتمل على الفين وثلاثمائة قصيدة في مدح بني هاشم فقط سوى القصائد الاخر المنظومة في بقية المعاني ومدائح الناس وهجوم .

(٣٩٣) محمد ابو بكر الخوارزمي : يحكى عنه انه قصد الصحاب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابيه « قل للصحاب على الباب احد الادباء وهو يستأذن بالدخول » فدخل الحاجب واعلمه فقال الصحاب قل له قد الزمت نفسي ان لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب واعلمه بذلك فقال ابو بكر ارجع اليه وقل هذا القدر من شعر الرجال ام من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فاعاد عليه فقال الصحاب « هذا يكون ابابكر الخوارزمي » فاذن له في الدخول فدخل عليه فعرفه .

(٣٩٨) احمد بن حسين المعروف بالسديع الهمداني : كان ينشد القصيدة التي لم يسمعا غير مرة واحدة فيعيدها من حفظه مقلوبة وهي تربو على خمسين بيتاً وينظر في الاربع والخمس الاوراق من كتاب لم يعرفه نظرة خفيفة ثم يهزها على ظهر قلبه : يحكى انه لما دخل نيسابور اعجب بنفسه وانكر على الناس قولهم « فلان الحافظ في الحديث » ثم قال وحفظ الحديث مما يذكر « فسمع به محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم الضبي المتوفى سنة ٤٠٥ فوجه اليه بجزء من الحديث واجتمعه في حفظه جمعة فرد الجزء بعد جمعة وقال من يحفظ هذا محمد بن فلان وجمفر بن فلان عن فلان اسامي مختلفة والفاظ متباينة » فقال له الحاكم فاعرف نفسك واعلم ان حفظ هذا اضيق مما انت فيه .

(٤٣٩) محمد بن عبد الواحد المعروف بالمطرز : كان اكثر ما يمليه من التصانيف يلقبه من لسانه من غير صحيفة يرجع اليها حتى قيل انه املى من حفظه ثلاثين الف ورقة من اللغة ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد تواطأت على وضعه فيجب عنه ثم يترك سنة ويسأل عنه فيجيب عنه بذلك الجواب بعينه .

(٤٤٩) احمد ابو العلاء المعري : يذكر المؤرخون في قوة حافظته اخباراً كثيرة ربما كان بعضها مما يحيله العقل وقد اقتصرنا منها على حكاية واحدة يسهل تصديقها ولا سببا ان راويها ثقة معروف وهو الامير اسامة بن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب وكان الخازن يها رجلاً علواً بجلست يوماً عنده فقال لي قد خبأت لك خبيثة غريبة ظريفنة لم تسمع بمثلا في تاريخ ولا في كتاب منسوخ ، قلت وما هي قال هي دون البلوغ ضرير يتردد الي وقد حفظته في ايام قلائل عدة كتب وذلك اني افرأطيه الكرامة والكراسية

مرة واحدة فلا يستعيد الا ماشك فيه ثم يتلو علي ما قد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له قلت
فأله يكون محفوظاً قال سبحانه الله كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان ذلك
كذلك فهو اعظم ثم حضر المشار اليه وهو صبي دميم الخلقه مجرد الوجه على عينيه قلبلا وهو
يتوقد زكاء بقوده رجل طويل من الرجال احسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن يا ولدي
هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يجب ان تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال
سماً وطاعة فيختار ما يريد ، قال ابن منقذ فأخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يوج
و يستزبد فاذا مر بشيء يحتاج الى تفريره في خاطره يقول اعد علي هذا فأردده مرة
اخرى حتى انتهيت الى ما يزيد على كراسة ثم قلت له بقنع من هذا من قبل نفسي قال اجل
حرصك الله قلت كذا وتلا علي ما امليته عليه وانا عارض بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهيت
الى حيث وقفت عليه فكاد يذهب عقلي لما رأيت منه وعلمت انه ليس في العالم من يقدر على
ذلك الا ان يشاء الله وسألت عنه فقيل لي هذا ابو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء
والثروة والغنى :

(٤٥٨) علي بن احمد بن سعيد اللغوي المعروف بابن سيده القسيري : قال في حقه
ابو عمر الطلمنكي - دخلت مرسية فنشبت بي اهلها لسمعوا علي كتاب (الغريب المصنف)
فلت لم انظروا من يقرأ وانا امسك كتابي فأنو برجل اعمى يعرف بابن سيده فقرأه من
اوله الى آخره حفظاً من قلبه فتعجبت منه .
(٤٧٨) عبد الملك بن عبد الله الجويني امام الحرمين : كان يحفظ اثنتي عشرة الف
ورقة من كلام القاضي ابي بكر .

(٥٠٣) محمد بن عباس الخوارزمي : كان يحفظ شرح المهذب لابن بكر الصيدلاني
في مجلدات ويحفظ تفسيراً لثعلب جميعه .
(٥٠٥) محمد بن محمد المعروف بالفزالي : كان يحفظ جميع ما علقه في مؤلفاته
الكثيرة فلا حاجة للتطويل في ذكر محفوظاته .
(٥٤٤) محمد بن مروان الاشبيلي الاندلسي : كان يحفظ شعر ذي الرمة وهو
ثلث لغة العرب مع الاشراف على جميع اقوال اهل الطب .
(٥٨٠) الخضر بن ثروان التوماني : كان يحفظ الحمل وشعر الهزليين واخبار

الاصمعي ورؤية والمعاج وذوي الرمة وغيرهم من المخضرمين واهل الجاهلية والاسلام .
(٥٨٩) السلطان صلاح الدين يوسف الابوي : كان يحفظ القرآن وكتاب
التنبيه في الفقه وشعر الحماسة .

(٥٩٥) القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني : وهي المنظومة اللامية العجيبة في
فن القرائت السبع كان يقرأ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ فتصحح النسخ من حفظه
ويجلي النكت على المواضع التي تحتاج اليها ولما دخل مصر قال انه يحفظ وقر بعبر من العلوم
بحيث لو نزل عليه ورقة لما احتملها .

(٧٢٤) احمد بن ابراهيم الكناني العسقلاني : كان يحفظ مختصر الخرق في الفقه
والنبية ابن مالك والطوالع للبيضاوي والشذور والمحة وحفظ نصفها في ليلة واحدة ويحفظ
غير ذلك من الكتب التي كان يعرضها من علماء عصره .

(٧٢٨) الامام احمد بن نبيه له من المؤلفات المفيدة ما يربو على اربعمائة كتاب كلها
كان يلمه من خزانه فكره ويفترها من بحار معرفته وكان الناس يبهتون من كثرة حفظه
فهو حقيق ان يعد امام الحفاظ في العالم الاسلامي .

(٧٩١) ابراهيم المعروف بابن مسافر : كان يحفظ القرآن والعمدة والالفية ومنهاج
البيضاوي وكتاب التدريب ومنهاج النووي وعرض محفوظاته على علماء عصره .

(٨١٧) محمد بن يعقوب الفيرزي زابادي صاحب القاموس المحيط كان مربع الحفظ
وكان يقول لا انا الا واحفظ مائتي سطر وما يدل على قوة حافظته اتيانه برديف لكلام
علي بن ابي طالب على الفور لما قصد علماء الروم امتحانه فسألوه عن قول علي لكتابه (الصق
روائفك بالجبوب الخ) .

(٨٣٣) محمد بن محمد الجزري : يحفظ القرآن والشاطبية والرائية وكتاب التنبيه
لابي اسحق والنية ابن مالك ومنهاج البيضاوي وتلخيص المفتاح ومنهاج البلقيني والنية
العراقي وعرض محفوظاته على شيوخ عصره .

(٩٠٠) حسن بن علي الحلبي المعروف بالسيوفي : يحفظ القرآن ومنهاج النووي
والارشاد لابن المقرئ والنية العراقي والسيرة النبوية ومنهاج البيضاوي في اصول الفقه

والشاطبية وكافية ابن الحاجب الفية ابن مالك الطوالع للبيضاوي في الاصول والشمسية في المنطق وتصريف العزي .

(فريق من الحفظة الذين لم اهتمد الى تاريخ وفياتهم) — منهم الهيثم بن احمد بن غالب قال في كتاب نفع الطيب : كان آية في الحفظ وكان يحفظ ديوان ذي الرمة واختبره جماعة من الادباء في الحفظ فاقتروا عليه ان ينشدهم شعراً قافيته (قاف) فابتدأ من اول الليل الى ان طلع الفجر وهو ينشد وزن (أرق على أرق ومثلي بأرق) ومثاله قد نام بعضهم وبعضهم قد مل وسئم وهو لم يفارق قافية القاف .

ومنهم الشيخ محمد التونسي الشهير بالغوثي قال في الشقائق النمانية انه كان يحفظ المطول مع حواشيه وشرح المطالع للرازي والتلويح شرح التوضيح وشرح مختصر ابن الحاجب للمعتمد وحواشيه والكشاف مع حواشي الطيبي .

ومنهم حميد الدين بن افضل الدين الحسيني قال في كتاب الشقائق : قال محيي الدين النفاذاني في حقه انه قرأ عليه مدة طويلة وشهد له بانه لم يجد مسألة من المسائل الشرعية والعقلية الا وهو يحفظها قال ولو ضاعت كتب العلوم كلها لا يمكن ان يكتسبها من حفظه . ومنهم مصلح الدين مصطفى الشهير بالبغل الاحمر قال في كتاب الشقائق : سئى عنه احد تلامذته انه كان يحفظ جميع المسائل بجميع العلوم وقال ما ذكرت عنده مسألة من الفنون الادبية والعقلية والشرعية الاصلية والفرعية الا وهي في حفظه بالفاظها وعباراتها حتى انه كان يعرف اختلاف النسخ . وغضب يوماً من بعض الطلبة لعناده في مسألة فقال ما من مسألة من كتاب المقصود في الصرف الى الكشاف للزمخشري الا وهي في خاطره قال صاحب الشقائق وكلامه هذا صادق لا ريب فيه .

وهنا استوقف اليراع عن اذاعة ما يكنه في حافظته من اسماء اقرباء المحافظة وكثيري المحفوظات الذين لو اطلقت اليراع في حلبة بيان اسمائهم لضافت عن جريه صفحات المجلة وانما اكتفي الآن بايراد هذه النبذة عملاً بما يقال (ما لا يدرك كله لا يترك لاه) .

حلب : كامل الفزي

عضو المجمع العلمي العربي

مطبوعات حديثة

حوليات مصر السياسية

« تأليف احمد شفيق باشا »

- تمهيد الجزء الثاني ص ٧٩٩ وملحقه ١٢٨ ص طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م .
 - تمهيد الجزء الثالث ص ٧٣٥ طبع سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م .
 - الحولية الاولى سنة ١٩٢٤ م ص ٦١١ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .
 - الحولية الثانية سنة ١٩٢٥ م ص ١١٠٤ طبعت سنة ١٣٤٧ هـ ١٩٢٨ م .
 - الحولية الثالثة سنة ١٩٢٦ م ص ٧٠٧ طبعت سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .
- وكلاهما مطبوعة في مطبعة شفيق باشا ومطبعة حوليات مصر السياسية بشوارع الدواوين بالقاهرة .

بلغ المؤرخ الاستاذ واضع هذا الكتاب العظيم أمنيته على نحو ما توقعه في الجزء الاول من حولياته (مجلة المجمع العلمي العربي م ٨ ص ٣٠٦) وما أمنيته الا خدمة مصر وتاريخها . وبعد ان مهد لتاريخه في ثلاثة مجلدات عاد لخص كل سنة بمجلد فكتب تاريخ مصر الآن بعد المقدمات المهمة من سنة ١٩٢٤-١٩٢٦ اي ثلاث سنين وتوخى « خطة الحياد في سرد الحوادث وبيان ارتباطها بعضها ببعض » وابتعد « عن الحكم فيها الا بما قضت به ضرورة البيان متوخياً في الحكم البحث عن الحقيقة المجردة » « فما زالت علة التاريخ الزبغ والميل مع الهوى » « وحسبك ان تعلم ان اول واجبات المؤرخ نسيان عواطفه ووأد العوامل الشخصية وأدأ تاماً ، والتحرر من النزعات الذاتية إطلافاً حتى لا تصطبغ كتابته بما يشوش بهاء الحق وبنفس من جمال الصدق » .

وفي الحق ان المؤلف راعى هذه الاعتبارات كل المراعاة فيما أصدره حتى الآن من مجلداته الستة المهمة بحيث لا يجتاح الباحث بعدها في تلخيص تاريخ مصر الحديث الا الى الرجوع الى مادون من هذه الوثائق الثمينة وبذلك وفر للباحثين اوقاتهم واعطاهم زبدة ماتم في تاريخ مصر السيامي . وحسب القاري ان يعرف ان العلامة مؤرخ مصر

الحديثة صرف حياته في معاناة السياسة خائفاً فيها مع الخائضين فزبكا كل القرب من
 الاوساط السياسية . وهو يكتب الآن مجرداً عن مظاهره القديمة وقد نضج علمه وصحت
 تجاربه . ولذلك يهتأ على عمله المجيد الذي خلد به مجد مضر الأخير على صورة ترفع
 رأس كل مصري بل كل عربي وشرقي . وفقه الله الى إتمام مشروعه الذي نشوء بحمله
 الجماعات دح الافراد . وانا لندرجو ان تنبعث همه كل اخصائي في علم من العلوم البشرية
 في مصر والبلاد العربية ليقدّم لامته خدمة كخدمة صدقنا احمد شفيق باشا ، اذا لا متلات
 الخواثر بنهشات الأقلام ونخرجنا بالامة الى رحاب البحث العلمي الممنوع ولماخرنا امام أم
 الغرب بدووبنا وتسلسل اعمالنا ، فمحوونا بمملنا وجدنا الوصمة التي طالما وصمنا بها الدخلاء
 بمرهم ايانا بوناء العلم افراداً وجماعات .

م . ك

المجمع العلمي اللبناني

« خلاصة أعماله الى السنة الحاضرة (١٩٣٠) » طبعة المعرض بيروت .
 رسالة في أعمال المجمع منذ نشأته في ٢٠ شباط سنة ١٩٢٨ وفيه خلاصة من
 تقارير خمسة وضعتها اللجنة الادارية - واللغوية - والجغرافيا والتاريخ - والمخطوطات
 ورأي رئيسه وبعض اعضاءه في دائرة المعارف . ولم تخرج كلها عن حدود التقارير التي
 لم ننفذ بعد وننظر عطف الجمهورية اللبنانية حتى تخرج من الاقوال الى الافعال .
 وقد استفدنا منه ان في مكانب بيروت الكبرى ٦٧٤ مؤلفاً عربياً مخطوطاً منها ٤٧٦
 مجلداً و١٠٩٨ رسالة . في الجامعة الاميركية منها ١٨٣ مجلداً و١٣٤ رسالة . وفي مكتبة
 الآباء اليسوعيين ٢٤٥ مجلداً و٤٤٠ رسالة . وفي دار الكتب الكبرى ٤٨ مجلداً و٢٠
 رسالة . وان لجنة الجغرافيا والتاريخ « طبعت جداول تمهيدية لوضع القاموس العام وفي
 كل منها حقول متنوعة لاسماء المدن والداكر والقرو والمزارع وعدد النفوس والمذاهب
 والانهار والينابيع والجبال والمنتاج والمعابد والمقامات والمعامل والمعاهد العلمية ومواطن
 الآثار وام الحاصلات الزراعية والمنسوجات الوطنية الى غير ذلك من الشؤون العمرانية
 الاقتصادية عدا ما كن الاصطيف ومواردها التي لها المقام الاول في جبل لبنان » .

والمأمول ان يتم هذا المعجم قريباً وان يشرع المجمع الشقبي في القاء المحاضرات العشر التي اعدتها لهذه السنة وهي معمة في بابها ولا بأس بان نلذت نظر من وضعوا هذه الرسالة الى ان الجامع التي ذكرها في العراق ومصر (بل وشرقي الأردن) لم نلعد حد التأسيس بل حد الاماني حتى الآن . وعالم الادب ينظر منها ومن المجمع اللبناني اعمالاً أدبية محسوسة نقرها بها عيون العرب والعربية .

م . ك

سيد قر يش

— بقلم —

« الاستاذ معروف الارناؤوط »

قال ابو العباس النامي في المنبي والنامي ، من خواص شعراء سيف الدولة : كان بقي من الشعر زاوية دخلها المنبي ، وانا لما قرأت (سيد قر يش) واحطت بحياة العرب ، وسياستها ، واجتماعها في جاهليتها الجهلاء ، خطر بيالي ان اقول في الاستاذ معروف الارناؤوط ما قاله النامي في المنبي : كان بقي من الادب زاوية دخلها السيد معروف الارناؤوط .

وما هذه الزاوية الا زاوية الرواية ، ولقد دخلها الاستاذ معروف ونجم في ساحتها ، فية أنه وفيها ، فأنكرت جانبه ولا نكر جانبها ، أعطته كل ما ملكت ، واعطاها كل ما ملك ، أعطته صوراً هامة فأحياها ، وارواحاً جامدة فحرّكها ، وألواناً كامدة فصعّأها ، فان شئت ان تشاهد شيئاً من حياة هذه الصور ، وحركة هذه الارواح ، وصفاء هذه الالوان ، فارجم الي اي فصل من فصول سيد قر يش ، اني لا ادلك على موضع من مواضع روعتها ، فاختر لنفسك ما شئت من فصولها في الفساسة والمناذرة ، والقياسرة والاكاسرة ، فان كان في قلبك غم لم نفرجه فارجم الي فصلها في شاعر الفساسة ، انك تجد دمشق في ربيعها الطلق تهش بك ازاهيرها ، وتضحك اليك رباحينها ، فاستظل بهذا الظل الخضل ، وان كان في عينيك بقية دمع لم تذرفه ، فارجم الي فصل العرب بين الروم والفرس ، انك تصادف أمة مصدوعة الشمل من قديم الدهر ، تشتري موتها في سبيل حياة غيرها ،

من الروم والفرس ، بصطنعونها في تأييد سلطاتهم ، فينقاتل الحارث الغساني ، والمنذر
الغني حتى يتبسط قيصر او كسرى في بلاد العرب ، وان كان في صدرك وحشة في
وطنك فارجع الى فصل الوطن في البادية ، انك ترى البدوي يأبي ان يسكن دمشق
وجناتها بدل الصحراء ، فتعلم كيف يكون الحنين الى الوطن .

ارجع الى هذه الفصول كلها ، حتى تعرف ماهو سحر العبقريّة ، وتذكر الفرق بين
كدة التاريخ ونضارة الفن . لقد وضّح الاستاذ معروف الارتاوط حياة العرب قبل
الاسلام في جميع نواحيها ، في سياستها ، واجتماعها ، وثقافتها ، على قدر ما هداها اليه
التاريخ ، وعلى قدر ما أوحى اليه الرواية ، والتأليف بين حقيقة التاريخ ، وبين خيال
الرواية ، هذا هو السحر الحلال الذي يروك في سيد قريش .

« شفيق جبيري »

هدايا كتب

(العقود الدرية في الدواوين الحليبية) — هي ثلاثة دواوين لثلاثة من شعراء
حلب : اولهم حسين بن احمد الجزري المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ . وهذا الديوان لم ينشر ولم
يطبع بعد . والثاني ديوان فتح الله النحاس المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ وهذا طبع وتداول .
والثالث ديوان مصطفى بن عبد الملك البابي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩١ هـ . وقد طبع ايضا
والاخير منهم هو صاحب الموشح الرقيق الذي وصف فيه عين الذهب ووادي الباب ومطلعه :
(بابي وا بابي وا بابي جرة من ماء عين الذهب)

وقد زهل فاندبك في جغرافيته (المرأة الوضية) فجعل هذه العين في الاندلس
مذ قال « ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى البابي
الحلبي هذا الموشح بابي الخ » والبسائي المذكور مات سنة ١٠٩١ هـ اي بعد جلاء المسلمين
عن الاندلس بنحو (٢٠٠) سنة فلا يعقل ان يكون — وهو في حلب — قال موشحه في العين
التي في الاندلس . وناشر هذه الدواوين الثلاثة هو عضو جمعنا العلمي الاستاذ الشيخ محمد
راغب الطباخ وقد طبعها في مطبعته العلمية بحلب سنة (١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م) .

وقد أثينا مراراً على نشاط رصيفنا الاستاذ في ما ينشره من الكتب والمخطوطات في الفنون
المختلفة فجزاه الله خيراً .

(الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) - اخذت (مكتبة عرفة)
في دمشق لنشر على نفقتها من وقت الى آخر الكتب التي تراها أعلق بفائدة الجمهور ، من
ذلك الرسالة المذكورة التي ألفها الاستاذ الكتاني المعروف في دمشق بعلمه وفضله ورسوخه
في علوم الدين ولا سيما السنة والحديث . وقد جمع في رسالته كل ما يتعلق بالسنة
وطبقاتها ودرجاتها ، فالتصفح لها يجد كل ما يهجه ويفيده في الوقوف على علم السنة وتاريخه
وتدرجه منذ صدر الاسلام الى اليوم .

(مستهل الآداب) - وهذا الكتاب ايضاً مما نشرته مكتبة عرفة لمؤلفه الأديب
السيد محمد جميل سلطان من أساتذة المدارس وقد ضمنه طريقة حديثة في تسهيل تعليم
الآداب العربية للطلاب طبقاً للنهاج المقرر تدريسه لطلاب الصف الخامس . فنشكر
لمؤلفه ونشره ونلفت أنظار أساتذة التعليم اليه .

(الثقافة والتهذيب) - رسالة لطيفة في حجمها غزيرة في مادتها وفائدتها لكانها
الفاضل (ابو زهير الاندلسي) وهو لقب انجمله السيد راشد طيارة ، يوقع به آثاره .
ومنها هذه الرسالة التي ضمنها مباحث في التربية والتهذيب ومقامها من حياة الافراد
والجماعات ، والبحث فيها مستند الى الاصول التي وضعها علماء هذا الفن المعاصرين ،
فالرسالة لا غنى لعالم ولا لمرب عنها فنشكر لمؤلفها سعيه وهديته .

(الهندسة المستوية) - تأليف « وبنثوورث وسميث » وتعر يب كل من الفاضلين
جلال امين زربق والاستاذ السيد علي وقد وصل الينا من هذا المصنف جزآن الثاني
والثالث اللذان قررت وزارة المعارف العراقية ندر يسها في السنة الثانية من الدراسة
الثانوية فنلفت اليهما علماء هذا الفن وطلابه . « المغربي »

—